نضال فرانتز فانون من أجل قضايا تحرر إفريقيا

Frantz Fanon's struggle for the causes of African liberation

1– ماضي مسعودة*، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)

maddihistoire0109@gmail.com

تاريخ الاستلام: 01/08/ 2022 تاريخ القبول: 10/04/ 2022 تاريخ النشر: 15/06/ 2022

ملخص:

سنعالج في هذا المقال مسار فرانتز فانون منذ بداية اهتمامه بالقارّة الإفريقية ونشاطاته فيها وتنظيراته حول الكثير من المواضيع التي تتعلق بها، وطرحه لمجموعة من الأفكار التي كان يري فورية تنفيذها، ورؤيته لإفريقيا التي كان يتمنّاها. فإلى أي مدى نجح فانون في تحقيق مشاريعه التحررية لإفريقيا والأفارقة؟ وللإجابة على هذه الإشكالية فقد استعملنا المنهجين الوصفي والتحليلي. ويمكن اعتبار فرانتز فانون احد ابرز الأصوات المناهضة للاستعمار في أفريقيا، حيث كان شخصية ذات ذكاء هائل ممزوج بشغف للعمل السياسي من اجل إنهاء الاستعمار في القارة السمراء. وبعد انضمامه لثورة الفاتح من نوفمبر، ناضل فانون من اجل فتح الثورة الجزائرية على إفريقيا من خلال النشاط الدبلوماسي بعدما عينته جبهة التحرير سفيرا لها في إفريقيا جنوب الصحراء، والرمي بإفريقيا في أحضان الثورة الجزائرية من خلال محاولة إنشاء اللفيف الإفريقي لمساندة الثوار الجزائريين. كما دعا فانون إلى الوحدة الإفريقية لمواجهة مخاطر الاستعمار الجديد. لكن ورغم فشل هذه المبادرات والوفاة المبكرة لفرانتز فانون سنة 1961 فقد كانت له مكانة خاصة بين الشخصيات المناهضة للاستعمار في إفريقيا لتحليله الثاقب والحاد للوضع الاستعماري في إفريقيا.

كلمات مفتاحية: فرانتز فانون، إفريقيا، الاستعمار، التحرر، الثورة.

*- **المؤلف المرسل**

Abstract:
In this article, we will discuss Frantz Fanon's journey from the beginning of his interest and activities on the African continent, as well as his theories on many topics related to it, and his presentation of a set of ideas that he saw as their immediate implementation, and his vision of the Africa he wanted. To what extent did Fanon realise his liberating plans for Africa and Africans? To answer this question, we used both descriptive and analytical approaches. Frantz Fanon can be considered one of the most prominent anti-colonial voices in Africa, as he was a figure of great intelligence passionately involved in political action for the decolonisation of the black continent. After joining the November Revolution, Fanon fought to open the Algerian revolution to Africa through diplomatic activity after the Liberation Front appointed him ambassador to sub-Saharan Africa, and to throw Africa into the arms of the Algerian revolution by trying to create the African legion to support the Algerian revolutionaries. Fanon also called for African unity to counter the dangers of neo-colonialism. However, despite the failure of these initiatives and Frantz Fanon's untimely death in 1961, he had a special place among anti-colonial figures in Africa for his insightful and pointed analysis of the colonial situation in Africa.
Keywords: Frantz Fanon; Africa; Colonialism; Liberation; Revolution.

مقدمة

لقد كانت القارّة الإفريقيّة على مرّ العصور ومنذ بداية اكتشافها وجهة يتهدّدها الخطر الأوروبي، الذي تجسّد فعليّا وتكرّس على إثر مؤتمر برلين (1884-1885) الذي أقرّ سياسة الباب المفتوح في هذه القارّة، إذ اتفق المؤتمرون الأربعة عشر على تقسيمها، وكانت حصة الأسد من نصيب بريطانيا وفرنسا.

وخلال القرن العشرين بدأت الحركات التحريرية تتبلور شيئا فشيئا نظرا لمجموعة من العوامل لعلّ أهمّها انتصار اليابان سنة (1904-1905) في حربها ضد روسيا وتبلور فكرة التضامن الآسيوي، التي تطوّرت فيما بعد إلى التضامن الآفرو آسيوي، كذلك عودة المجندين من أبناء القارّة والطلبة الذين

طالبوا بتطبيق مبادئ ولسن التي تضمّنت"حق الشعوب في تقرير مصيرها". كما كان للثورة البلشفية في روسيا (أكتوبر 1917)، الأثر الواضح في دفع وتشجيع وتيرة الحركات التحرّرية، هذا علاوة على الغزو الايطالي للحبشة سنة 1935 وما أفرزه من تضامن وتكاتف بين الأفارقة.

والحق أن مؤتمر باندونغ[1] سنة 1955، الذي عبّر عن إرادة ستة وخمسين بلدا أفرو آسيوي (إفريقي آسيوي)، كان نقطة تحول جوهرية في تاريخ إفريقيا أيقضها من سبات عميق، ونقلها من مرحلة الخمول إلى مرحلة النضال، وكان بداية مرحلة جديدة من ثورة الأمم الناهضة، وشكّل روحا جديدة أصبحت تعرف بروح باندونغ وأدركت البلدان الإفريقيّة من خلاله أن الكفاح المسلّح هو الحل الوحيد والشرعي لدحر الاستعمار، ومن هذا المؤتمر التاريخي أيضا بدأت بوادر الدعوة إلى وحدة إفريقية تلوح في الأفق[2].

بالإضافة إلى المؤتمرات الدّولية التي عقدت بعد الحرب العالمية الثانية كمؤتمر الأطلسي 1949 وكان نتاج هذه العوامل قيام ثورات في كل أرجاء المستعمرات وفي سنة 1959 وصل عدد الدّول الإفريقيّة المستقلة إلى عشرة دول[3]. وكان عام 1960 هو عام الاستقلال في إفريقيا، فلقد حصلت ثمان عشرة دولة إفريقية على استقلالها[4]. واكتمل فيما بعد استقلال البلدان الإفريقيّة الأخرى بعد أن عجزت القوى الاستعمارية على الاحتفاظ بها بعد اشتداد موجة الكفاح الوطني.

كذلك ظهور نخبة من المثقفين الوطنيين الذين تشرّبوا الثقافة الغربية بأفكارها وإيديولوجيّتها وأدركوا حقيقة الاستعمار فنادوا بتطبيق شعارات الثّورة الفرنسية وتجسيدها في بلدانهم، ولعلّ أهم هؤلاء: كوامي نكروما، أحمد سكوتوري، ليوبولد سنغور، فليكس مومي، باتريس لومومبا، جومو كينياتا و فرانتز فانون. هذا الأخير الذي كان احد ابرز الأصوات المناهضة للاستعمار في أفريقيا، والذي كافح الاستعمار انطلاقا من الجزائر، حيث كانت أفكاره نابعة من إيمانه العميق بضرورة الدفاع عن أولئك

---

[1] البلدان التي حضرت مؤتمر باندونغ هي: الهند- باكستان- سيلان- بورما- اندونيسيا- أفغانستان- العربية السعودية- لمبوديا- ساحل الذهب- الصين- مصر- أثيوبيا- العراق- إيران- اليابان- الأردن- لاوس- لبنان- ليبيا- نيبال- الفلبيين- سيام- السودان- سوريا- تركيا- فيتنام الشمالية والجنوبية- اليمن.

[2] أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، بدون تاريخ، ص163.

[3] الدول هي: مصر، إثيوبيا، ليبيا، جنوب إفريقيا، السودان، ليبيا، تونس، المغرب، غانا وغينيا.

[4] الدول هي: (الكاميرون، جمهورية إفريقيا الوسطى، تشاد الكونغو برازفيل، الزائير، داهومي، الجابون، الطوغو، فولتا العليا، ساحل العاج، النيجر، نيجيريا، سيراليون، مالي، موريطانيا، السنغال، الصومال، مدغشقر).

المستضعفين في القارّة السمراء الذين طالما كانوا فريسة للاستعمار الاستيطاني أو الاستعمار الاستغلالي لثرواتهم المختلفة.

إن التحاق فرانتز فانون بالجزائر كطبيب مختص في الأمراض العقلية سمح له أن يتعرف عن قرب على معاناة الجزائريين من جراء الوجود الاستعماري في شمال إفريقيا، وهي الوضعية التي شكلت منعطفا حاسما في حياة الرجل القصيرة، حيث انضم فكرا وعملا إلى الثورة الجزائرية، وحاول فتح آفاق كبرى مع إفريقيا ونضال الأفارقة. فما مدى مساهمة فرانتز فانون كمفكر ومناضل مناهض للاستعمار في طرح الرهانات الحقيقية التي كانت تواجه الأفارقة خلال المرحلة الاستعمارية ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، سندرس كيفية التحاق فرانتز فانون بالثّورة في إفريقيا ومشاركته في مؤتمرات المناهضة للاستعمار، كما سنتعرض إلى نشاط فانون الفكري و الثوري.

1. التحاق فرانتز فانون بالثّورة في إفريقيا ومشاركته في مؤتمرات الأفارقة

لقد كان أول اتصال لفرانتز فانون الأنتيلي الثائر بالقارّة السمراء، مبكّرا سبق كل تلك التحولات الجديدة التي وقعت في المنطقة، وذلك عندما شارك في سنة1943 في الحرب العالمية الثانية إلى جانب فرنسا في حربها ضد النازية والفاشية، فكانت تلك الفرصة أوّل احتكاك له بأبناء جلدته الأصليين، ولكنّها لم تسمح له بالاطلاع العميق والاحتكاك المباشر[1].

غير أن مزاولته للدراسة في جامعة ليون، قد مكنّته أكثر من التعرّف على بعض الطلبة الأفارقة، علاوة على مشاركته في "فيدرالية الطلبة السود الأفارقة في فرنسا" وفي مجلّة الحضور الإفريقي[2]، بالإضافة إلى الصداقات التي اكتسبها مع أعضاء بعض الجمعيات السرية التي كانت تكافح من أجل استقلال إفريقيا[3]، لكن يبقى دخوله للجزائر وانضمامه لثورة شعبها ضد الاستعمار الفرنسي بمثابة الباب الذي سمح له بالولوج إلى قارة إفريقيا وتقديم مساهمته في الكفاح ضد الاستعمار من خلال معارضته لمشاريع الجنرال ديغول في إفريقيا ومشاركته في الندوات و المؤتمرات الإفريقية المنادية باستقلال.

1.1 الجزائر بوابة فرانتز فانون إلى إفريقيا

[1] محمد الميلي، فرانتز فانون والثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ ، ص18.

[2] مجلة الحضور الإفريقي، أسسها اليون ديوب سنة 1947

[3] Alice Cherki, Frantz Fanon portrait, éditions du seuil, paris septembre 2000, p. 20.

كان اتصال فرانتز فانون بالقارّة الإفريقيّة من خلال احتكاكه بالقضية الجزائريّة ونضاله في صفوف جبهة التحرير الوطني، إذ شكلت المعبر الحقيقي الذي جعله يوطّد علاقاته معها أكثر، خصوصا بعدما أوكلت له مهام مختلفة فيها من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني الجزائريّة[1].

وإذا كان فانون قد أصبح- كما يراه بعض المختصين- منظرا في مجال العنصرية والعنف والاستعمار، والزنوجيّة، فإن ذلك لم يكن مجرّد هواية أو ترف فكري وإنما اعتنق تلك الأفكار والنظريات عن دراية واقتناع بعد معايشته لظاهرة الاستعمار وتعامله مع الشعوب المستعمرّة (بفتح الميم). وقد عرف ذلك عن كثب عندما عمل في الجزائر كطبيب للأمراض العقلية والنفسية، وكمناضل ومفكر وصحافي في جريدة المجاهد في تونس، أو في إفريقيا بعد تعيينه ممثلا للثورة الجزائريّة هناك.

ولا شك أن السنوات التي قضاها في الجزائر (1953-1957) كانت هي المحك الحقيقي الذي وضعه في مواجهة الاستعمار[2]، والتي كونته سياسيا وجعلته يتعمق في التّجربة الجزائريّة، ومنها إلى التّجربة الإفريقيّة[3]. فلقد اكتشف من خلال عمله في البليدة قاسما مشتركا بين شعبه في المارتينيك وفي الجزائر وفي إفريقيا السوداء. كما أن فانون بطبيعة شخصيته الثائرة المناهضة للاستعمار، أدرك منذ البداية ما يدور حوله من عنصرية وإقصاء وتهميش لأولئك المستعمَرين. ولكنه لم يجد منفذا للتعبير عن آرائه سواءً في المارتينيك أو في فرنسا إلاّ بالكتابة.

وبانتقاله إلى الجزائر، أُتيحت له فرصة الكفاح ضد الاحتلال بكل أشكاله عمليا من خلال انخراطه في جبهة التحرير الوطني، ولمّا كانت الثّورة الجزائريّة ثورة مسلحة، فإنها فرضت نفسها وتجاوزت حدودها الضيقة لتؤثر على إفريقيا قاطبة. وجاءت الفرصة مناسبة لفانون مرّة أخرى في

---

[1] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 132.

[2] تولى فانون منصبه في 23 نوفمبر 1953، وكانت تلك نقطة تحول في حياته حيث سرعان ما أدرك الوضع المستحيل للجزائر المستعمرة.

Costantini Dino, « 9. Les Damnés de la terre de Frantz Fanon », dans : , Mission civilisatrice. Le rôle de l'histoire coloniale dans la construction de l'identité politique française, sous la direction de Costantini Dino. Paris, La Découverte, « TAP / Études coloniales », 2008, p. 224-259. URL: https://www-cairn-info.sndl1.arn.dz/---page-224.htm,consulté le 12/12/2021.

[3] Numa Murand, Psychiatrie et politique, Frantz fanon a Blida, in (pensé aujourd'hui avec Frantz fanon), actes du colloque fanon, CSPRP-université, paris 7, février 2008 édition on ligne disponible sur "http:// www.csprp.univ-paris-diderot.ffactes_fanon.html, consulté le 04/01/2009.

إطار أوسع هذه المرّة للانتقام من الاستعمار ومحاولة إثبات تفوق الإفريقي الزنجي على الأوروبي الأبيض[1] .

إذ حاولت الثّورة الجزائريّة أن تجسد وتكرس ذلك التلاحم الإفريقي الذي كان بعدا من أبعادها، خاصة وأنّ الاستعمار كان مشتركا وهو الاستعمار الفرنسي[2]. حيث كانت فرنسا أثناء قيام الثّورة التحريرية في الجزائر تسيطر على عدد كبير من بلدان إفريقيا الغربية والاستوائية، ولقد أدرك المحتل الفرنسي هذا البعد منذ البداية وحاول ضربه في الأعماق من خلال استعمال جنود أفارقة في الحرب مع الجزائر وخاصة السينيغاليين[3] .

2.1 فانون يعارض مشاريع ديغول في إفريقيا

بعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية، عقد مؤتمر برازافيل (عاصمة الكونغو) حددت فيه السياسة الاستعمارية الجديدة تجاه مستعمراتها[4]، وفي سنة 1958 انهارت الجمهورية الفرنسية الرابعة، وعاد ديغول مرّة أخرى إلى السلطة في باريس، ولقد تحدّث فانون عن هذه العودة، فقال: " قد مكّن تضافر الجهود بين الاستعماريين الفرنسيين وبين الفاشيين مع طليعتهم العسكرية في الجزائر، وبين القوى الرجعية في فرنسا من فرض تحكيم الجنرال ديغول"[5].

والواضح أن فرانتز فانون لم يكن راضيا عن عودة ديغول إلى الحكم، إذ يصنف المتواطئين في الجزائر مع هذه العودة بالفاشيين، ويوضح الهدف الحقيقي وراء الإتيان بديغول، فيقول: "...إنّ القوى الفاشية التي أعدّت هذه المؤامرة، أرادت أن تستعمل اسم الجنرال ديغول لتقيم منظمات تكون قادرة على الإمساك الفعلي بزمام الحكم، ولو أدّى الأمر بعد ذلك إلى التخلص من الجنرال الرئيس..."[6].

وبعد عودة ديغول حاول تجنب خطر المدّ القومي في المستعمرات، وعرض ما سمّاه بـ"دستور ديغول" أو "مشروع ديغول" أو "استفتاء ديغول"، إذ اقترح اختيارين على الدّول الإفريقيّة، إمّا أن تحصل على استقلالها الداخلي، وفي هذه الحالة لا تستفيد من أي دعم فرنسي، مهما كان شكله، وبين

---

[1] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 132.

[2] نفسه، ص 189.

[3] نفسه، ص 189.

[4] محمد عبد العزيز إسحاق، **نهضة افريقية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1971، ص 88.

[5] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، ترجمة محمد الميلي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص ص 138-147.

[6] نفسه، ص 139.

حصولها على استقلالها على أن تبقى الشؤون الخارجية والعملة وشؤون الدّفاع والمسائل الاقتصادية العامة، والموارد الإستراتيجية تحت السيطرة الفرنسية، وفي هذه الحالة تتلقى دعما فرنسيّا بجميع أشكاله، وتبقى مرتبطة بفرنسا ارتباطا كليا[1].

ولقد انتقد فانون الدوافع التي جعلت ديغول يُقدم هذا الطرح إلى الأفارقة، ورأى أن ذلك ما هو إلا تكريسا للاستعمار والهيمنة، وقال: "فبعد تجربتي تونس والمغرب، وتجربة الهند الضيقة التي كانت أشد وأقسى، أقسمت الأوساط الاستعمارية على أنّ لا تسمح بأي تسليم جديد..." [2].

لقد كان القلق يسيطر على فانون من هذا الطرح الجديد، لأنه كان مدركا أنه لم يكن حبّا في البلدان الإفريقيّة، بل لأن ديغول كان يخاف من ظهور تحالفات واتحادات ضد فرنسا، وقال عن ذلك: "... ذلك أن القوى الاستعمارية التي أيّدت وساندت مساندة تامة التّجربة الفاشية، كانت واقعة تحت تأثير رعب مصدره الخوف من أيّ تطوّر يؤدّي إلى تحقيق تصفية الاستعمار"[3].

وكتب فانون مقالا نشر في العدد التاسع والعشرين الصادر يوم 17 سبتمبر 1958 من جريدة المجاهد، عنوانه "نداء إلى الأفارقة" شرح فيه أبعاد ذلك المشروع وخطورته، ومما قال فيه: "... إن المساهمة في التصويت وتعبير المواطن الإفريقي عن رأيه في مسائل فرنسية صرفة، يحسم ذلك (الإتّحاد الفرنسي)، الذي حُول تحت ضغط الضرورة إلى (مجموعة فرنسية-إفريقية)، ويمسخ الشخصية الإفريقيّة، ويقر جنسية وحيدة، كما يقول الدستور الفرنسي...إن المساهمة في الاستفتاء معناه الاعتراف الضمني بالانتماء إلى أمة ذات مشاكل مشتركة بين مختلف أفرادها، في حين أن الواقع خلاف ذلك، لأن كل إفريقي يساهم في الاستفتاء سيساعد على شد وثاق شعبه وبلده بأحابيل الاستعمار الفرنسي"[4].

ولكن البلدان الإفريقيّة وجزر الأنتيل خذلت فانون، وقالت كلها نعم لهذا المشروع، ورحبّت بالارتماء الكلّي في أحضان فرنسا، ويقول فرانتز فانون في هذا الصدد:"... يستطيع منظمو الانقلاب[5] أن

---

[1] دافيد كوت، **فرانتز فانون**، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة الأولى،1971، ص 158.

[2] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص 139.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص 136.

[5] الانقلاب: يقصد به انقلاب 13 ماي 1958، الذي عاد على إثره ديغول إلى الحكم.

يعربوا عن ارتياحهم غداة الثامن والعشرين سبتمبر فقد أجاب أقطارها وراء البحار، 98% من السكان (بنعم)، للجنرال ديغول ولفرنسا"[1].

وحتى إيمي سيزر[2] الذي كان رئيسا لبلدة فوردوفرانس[3]، رحّب هو الآخر بمشروع ديغول، واستقبل موفده مالرو[4] استقبالا حارا، وعبّر له عن فرحته، وقال: "إنني أحيّي في شخصك الشّعب الفرنسي العظيم، الذي تشدّنا إليه روابط عاطفية وثيقة"[5]. وهو بذلك يؤيد تمام التأييد ارتباط جزر الأنتيل بالوطن الفرنسي، على غرار كافّة المستعمرات الأخرى التي قبلت هذا المشروع. وكان موقف سيزر بمثابة الكبريت الذي أشعل ثورة الجماهير الغاضبة، والتي حاصرت بلدة فوردوفرانس ست ساعات كاملة[6].

أما فانون الرجل الذي لا يساوم عن المبادئ التي اعتنقها منذ صباه، فقد أبدى إعجابه الشديد بهذا الموقف الجماهيري الذي قام به شباب المارتينيك في ردة فعل قوية على تصريحات أستاذه سيزر، وكتب مقالا نشر في العدد الثامن والخمسين الصادر بتاريخ 5 جانفي 1960 من جريدة المجاهد بعنوان "الدم يسيل في جزر الأنتيل" ومما قال فيه: "... ها هي المستعمرات القديمة تأخذ هي الأخرى طريق (التمرد)، إنّ هذه الزّهرات الوادعة، هذه البلدان التي قدّمت عددا كبيرا من الخدم الطيّبين والأعوان المخلصين، بدأت هي أيضا تضطرب..."[7].

وقد علّق فانون على موقف سيزر إثر هذه الحادثة: "... إن هذا الخطيب المفوّه (سيزر) قد وضع مواهبه في خدمة الشّعب الفرنسي العظيم، بدل أن يضعها في خدمة (الكونغو) التي تضج بالغابات والأنهار"[8]. وهذا القول المهذّب والرّفيع المستوى الذي علّق به فانون على أستاذه سيزر، دليل

---

[1] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص 140.

[2] إيمي سيزير(1913-2008) هو شاعر وكاتب وسياسي فرنسي من المارتينيك، كما يعتبر أحد أبرز وجوه تيار "الزنجية" في الشعر الفرنكوفوني ورمزا للحركة المناهضة للاستعمار.

[3] عاصمة المستعمرة الفرنسية المارتنيك الواقعة بجزر الانتيل مكان مولد فرانتز فانون و هي اليوم مقاطعة فرنسية.

[4] مالرو: روائي يساري سابق، وأحد أبطال الحرب الأهلية الاسبانية ووزير الثقافة (1958-1962) في عهد ديغول (الجمهورية الفرنسية الخامسة).

[5] دافيد كوت، المرجع السابق، ص ص 94-97.

[6] نفسه.

[7] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص 172.

[8] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 98.

دليل عن الألم الذي كان يأكل فانون من الداخل وهو يسمع هذه الأصوات ترحب بسياسة الإدماج في المجتمع الفرنسي ولكنّه لم يرد أن يخدش شخصية أستاذه بعبارات جارحة، فكان يحاول رفع المستوى لكي لا يشعر سيزر أن فانون ينتقده. لقد تساءل فانون بعد هذه الحادثة عن مصير وطنه الأنتيل بعد موقف سيزر المتخاذل من مشروع ديغول، وقال: "... تعجب بعض الملاحظين في الأنتيل من نسبة التصويت ب(نعم)، وهي نسبة تحققت بسبب الموقف الذي اتخذه السيد إيمي سيزر، فهل يّعتبر استقلال الأنتيل أمرا ممكنا اليوم؟..."[1].

وقد وجد فانون نفسه بعد هذا المشروع في مواجهة مع بعض القادة الأفارقة الذين رحبّوا بمشروع ديغول أمثال: هفويت بوانييه، رئيس كوت ديفوار الذي اعتبره حلا نهائيا لمشكلة بلاده، بدمجها في المجتمع الفرنسي، ممّا جعل فانون يعبّر عن أسفه من موقف هذا الرجل، على الرغم من أنه لم يفاجئ بقراره لأنّه كان يعرفه من البداية متواطئا مع فرنسا ضد قضية وطنه[2] .

وقد قال عنه فانون في إحدى مقالاته: "... يحاول السيد هفويت بوانييه الدفاع عن نظريته في الفيدرالية الكاملة، لكن من المشكوك فيه أن يتمكّن من تحقيق غايته لأنّ إفريقيا الغربية على الرغم من ديغول، وعلى الرغم من الثالث عشرة ماي وعلى الرغم من الاستفتاء، ستتحد كدول مستقلة لتدرس في مرحلة ثانية كيفيات التعاون مع الوطن الأم القديم..."[3].

ولكن فانون تألّم كثيرا عندما قبل سنغور هذا المشروع، فلقد كان يحبه ويعتبره بطلا يعلّق عليه آمالا عريضة في الدفاع عن مبدأ استقلال القارّة السمراء وإن كان يعرف أنه يفضّل الأوربيين على أبناء وطنه، ويعيّنهم في وظائف هامّة في بلاده، ويتباهى بذلك صراحة على حساب أبناء جلدته.

وقد أعرب فانون عن أسفه الشديد على ما يحصل للزعماء الأفارقة الذين لمّا تولوا السلطة، فقدوا الكثير من قدسيتهم ومثاليتهم، إذ دنّست ممارساتهم الموالية للغرب تاريخ إفريقيا، وطغت عليهم الأطماع والأغراض الشخصية، وقد نظر باحتقار إلى سنغور الذي كان يقطن في منزل منحه له بنك إفريقيا الغربية[4] .

قد قال فرانتز فانون بهذا الصدد: "إن المؤكد هو أنه عندما يتجه الشّعب إلى الاستقلال يفقد الزّعيم السياسي، سواء في الأنتيل أو في غيرها، أهميته كشخص ذي نفوذ وتأثير"[5]. ولكن سكيوتوري

---

[1] نفسه، ص ص 141-143.

[2] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا** ،المصدر السابق، ص 98.

[3] المصدر نفسه، ص 142.

[4] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 98.

[5] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 143.

الزّعيم الغيني أثلج صدر فانون، عندما رفض مشروع ديغول وجلجلت صيحته المشهورة "العزة مع الفقر ولا الغنى مع العبودية".

على الرغم من أن فرنسا ردّت على موقفه بالتهديد والوعيد بسحب جميع إطاراتها من هذا الإقليم، حيث كانت جميع المرافق في يد الإطارات الفرنسية سواء التعليم أو الطب أو الشرطة...الخ. وهددّت أيضا بمنع الإعانة المالية كليّة عن غينيا، بما فيها رواتب الموظفين وحتى الأدوات المدرسية، والآلات الزراعية هددت بسحبها لأنّها كانت ملكا لها. ولكن ومع ذلك تحمل أحمد سكيوتوري مسؤوليته كاملة.

وفعلا استطاع أن يتخطى هذه العقبات[1]. إنه القائل: "إنّ نضال الشّعب الغيني في سبيل الاستقلال يعد واحدا من الدوافع الرئيسة للنضال ضد الاستعمار في إفريقية بالنظر إلى تاريخ النضال التحرّري للشعوب الخاضعة للسيادة الأجنبية..."[2].

وكان رفض سكيوتوري فتيلا أشعل "المد القومي" من جديد، وبالفعل ما كاد عام 1960 ينتهي، حتى كانت معظم البلدان الإفريقيّة قد نالت استقلالها نهائيا، حتى سمي هذا العام بعام الاستقلال، خاصة بلدان إفريقيا الغربية، وإن كان الفضل في ذلك يرجع بالأساس إلى الثّورة الجزائريّة[3] .

أما فانون فقد أبدى إعجابا كبيرا بغينيا التي كانت البلد الوحيد الذي قال زعيمه "لا" لمشروع ديغول، وقد عبر عن إعجابه بالكلمات الآتية[4]: " لفتح طريق التحرر في إفريقيا السوداء يكفي أن يقول إقليم واحد (لا) لدستور الجنرال ديغول، وقد قالت غينيا هذه الكلمة، ودخلت في طريق سكوتوري ... ولا شك أن وجود غينيا مستقلة سيدخل اختلال كبيرا وعميقا على النظّام الاستعماري الفرنسي في إفريقيا السوداء فغينيا بما لها من حدود مشتركة مع السنغال والسودان وساحل العاج، ستتبلور حولها الطاقات الوطنية الموجودة في إفريقيا السوداء..." .

ومن هذا النص يستخلص الباحث أن فانون قد جعل من قضايا إفريقية التحررية مبدأ ليعيش من اجله ويناضل في سبيله، بما أوتي من إخلاص وحماس للثورة على المستعمرين في هذه القارّة التي سلبت كل ثرواتها بل وشخصيتها.

---

[1] محمد عبد العزيز إسحاق، المرجع السابق، ص ص 90-103.

[2] رولف ايتا ليندر، **عشرة رجال من إفريقية حياتهم، أعمالهم، أهدافهم**، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ، ص 131.

[3] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 120.

[4] نفسه، ص 143.

3.1 إسهامات فرانتز فانون في المؤتمرات الإفريقيّة

كانت لفانون زيارات متعددّة لإفريقيا، فقد شارك في الندوة[1] الأولى لإتحاد الشعوب الإفريقيّة المنعقدة في أكرا عام 1958[2]، رفقة كل من أحمد بومنجل وشوقي مصطفاوي[3]. ذلك أن غانا أصبحت بعد استقلالها المبكر مركزا لاتصالات وحوارات الثوار ورؤساء الدّول الإفريقيّة[4]. كانت شعارات هذه الندوة " ارفعوا أيديكم عن إفريقية " "ينبغي أن تكون إفريقية حرّة" "إفريقيا للإفريقيين"، حاول الزعماء الذين حضروا[5] تبادل الآراء حول ما تعانيه القارّة من مشاكل، ومحاولة إيجاد سبل لتكريس التعاون فيما بينهم، في جميع المجالات، ولم يكن مستقبل الاستعمار قاتمًا كما كان في أعقاب تجمع أكرا[6]. ولقد أسفر هذا المؤتمر على مجموعة من التوصيات لعل أهمها:

---

[1] حضر هذه الندوة مجموعة من الدول الإفريقية هي: المغرب، مصر، أثيوبيا، غانا، ليبيريا.

[2] حضر المؤتمر 300 مندوب من 28 دولة أفريقية ومثلوا 62 منظمة نقابية وسياسية، أغلبيتها تنشط في السرية.

Young Robert J.-C, Ploux Marie, « Fanon et le recours à la lutte armée en Afrique », Les Temps Modernes, 2006/1-2 (n° 635-636), p. 71-96. DOI : 10.3917/ltm.635.0071. URL: https://www-cairn-info.sndl1.arn.dz/revue-les-temps-modernes-2006-1-page-71.htm, P.87.consulté le 15/12/2021.

[3] Alice Cherki, Op. Cit, p. 203.

[4] Benjamin Stora, la vie de Frantz fanon, et la guerre d'indépendance Algérienne, in (pensé aujourd'hui avec Frantz fanon), actes du colloque fanon, CSPRP-université, Paris 7, février 2008 édition on ligne disponible sur "http:// www.csprp.univ-paris-diderot.ffactes_fanon.html, consulté le 04/01/2009.

[5] Plus de soixante partis et mouvements politiques, syndicats et association participent à la conférence. On y croise notamment Patrice Lumumba, représentant du Mouvement national congolais ; Kenneth Kaunda, représentant du Zambian African National Congress ; Frantz Fanon, représentant du Front de libération nationale ; Félix Moumié, représentant de l'Union des populations du Cameroun, etc.voir https://fr.wikipedia.org › wiki

[6] Norman Ajari, Race et violence : **Frantz Fanon à l'épreuve du postcolonial**, thèse de doctorat, Université Toulouse le Mirail, 2014, p.304.

أولا: مطالبة فرنسا بإنهاء القتال في الجزائر وسحب قواتها منها، والاعتراف بحق الشّعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير.

ثانيا: التعاون المتبادل بين الدّول الإفريقيّة من أجل ضمان استقلالها وسيادتها السيّاسية والإقليمية الكاملة.

ثالثا: ضرورة تقديم المعونة للجزائر بوصفها الحصن الأمامي للحركة التحررية الإفريقيّة في وجه الغرب الاستعماري[1] .

وكانت تدخلات بومنجل ومصطفاوي مركزّة على الكفاح الجزائري وضرورة الاعتراف به ومساندته، أما فانون فقد ساند رأيهما وأضاف عليه أن ذلك الكفاح المرير شجّع على استقلال الدّول الإفريقيّة الفرنكوفونية بل وعجّل به أيضا، وممّا قاله في هذا الخطاب: "كل إفريقي يجب أن يشعر أنّه ملتزم فعليا، ويجب أن يردّ جسديا على نداء أي إقليم كان ... إنّه من المهم عدم عزل الكفاح الوطني عن الإفريقي...آن للجزائري أن يكون فعلا جزائريا إذا لم يشعر في أعماقه بالمأساة التي لا يمكن وصفها، والتي تحدث في روديسيا وأنغولا"[2] .

وقد تحدث فانون عن هذا المؤتمر في مقال نشر في العدد الرابع والعشرين من شهر ديسمبر 1958 من جريدة المجاهد، بعنوان "أكرا:إفريقية تؤكد وحدتها وتحدّد إستراتيجيتها". تحدث فيه عن الأهداف الرئيسة التي كان القادة الأفارقة يسعون للوصول إليها من خلال هذه الندوة، والتي تمثلت خاصة في التأكيد على الإرادة الوطنية ضد السيطرة الأجنبية، ومحاولة الوصول إلى ذلك من خلال إضعاف الدّول الاستعمارية الواحدة تلوى الأخرى، وإحباط كل المناورات والدّسائس التي يقوم بها المعمّر(بكسر الميم).

وقد أكد الزعماء خلال هذه الندوة ضرورة التفاف والتحام بلدان القارّة حتى تتمكن من انتزاع استقلالها الذي بلا شك سيكون قريبا إذا ما اتّبعوا تلك الإستراتيجية وأكد فانون من خلال هذا المقال دائما على إجماع البلدان الإفريقيّة على اختيار الكفاح المسلّح كأسلوب وحيد للقضاء على الاستعمار الأوربي[3]. وختم هذا المقال المؤثر بقوله: "... لقد أقسم الأفارقة في أكرا على تبادل العون والوفاء ولن ينقض أي حلف بينهم حقا إن مستقبل الاستعمار لم يكن في يوم من الأيّام أظلم منه غداة مؤتمر أكرا"[4].

---

[1] محمد عبد العزيز إسحاق، المرجع السابق، ص 154.

[2] **المجاهد، العدد 34، 24 ديسمبر 1958.**

[3] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص ص 157-160.

[4] نفسه، ص 161.

ولقد بقي فرانتز فانون في هذه الندوة اثنا عشرة يوما أسفرت عن تكريس علاقته بنكروما وسكوتوري، وتعرّف أيضا على القائد الكاميروني فليكس مومي، وقائد حركة الاستقلال في كينيا، والأمين العام النقابي بها بويا، وعلى رئيس تانزانيا المستقبلي وحكيمها جيلييس نيجار (Julius Nigére) والقائد الأنغولي روبارتو هولدن والزّعيم الكونغولي باتريس لومبا، ذلك الرجل الوطني الذي أحبّ بلده حتى النخاع وكان دائما يردّد " أنا هو الكونغو، فالكونغو هو الذي صنعني، وأنا الآن أصنع الكونغو"[1] .

لقد كان لومبا - صاحب المبادرة بعقد المؤتمر- من دعاة الوحدة الإفريقيّة المتطرفين، وكان مثله مثل فانون أسودا زنجيا، وولد في نفس عام مولد فانون، ومن الصدفة أيضا أنه توفي في نفس السنة التي توفي فيها فانون، لقد كانت للومبا رؤية في قضية الاستقلال، لخّصها في قوله: "إن الاستقلال ليس له معنى في الوقت الحاضر فالمطلوب هو إصلاح تقدمي وجعل جهاز الإدارة إفريقياً"[2].

وكان لومبا رجلا عصريا في أفكاره واشتراكيا في توجهاته، صحيح أنه لم ينل التقدير الثقافي والفكري الذي ناله فانون، ولكن كانت له هو الآخر رؤية وحضور ولقد كان يرى أن منح الحقوق السيّاسية للأميين والأشخاص الذين لا يعرفون استخدامها هو أمر غير وارد، لأنه يعني وضع أسلحة خطرة في أيدي أطفال صغار[3] .

والحق أنه بعد هذه الندوة أعدّ فانون تقريرا دقيقا حول تأثيرات ندوة أكرا 1958، اقترح فكرة جديدة انفرد بطرحها، وهي تكوين "جبهة إفريقية لمساندة القضية الجزائريّة"، وكان مضمون هذا الاقتراح تكوين فيالق عسكرية دولية إفريقية (اللفيف الإفريقي) من أجل دعم القوّة العسكرية الجزائريّة في حربها ضد الاستعمار من جهة وتكوينها عسكريا من خلال مشاركتها في تلك الحرب من جهة أخرى.

لقد كان فانون يرى أن هذا المشروع طريق لدعم القضية الجزائريّة، ومنفذا لدعم الوحدة والمساندة بين الدّول الإفريقيّة التي تعاني من نفس مظهر الاستغلال والاضطهاد، كما اقترح ضرورة تحقيق وحدة نقابية بين الأفارقة من خلال إنشاء مشروع مركزية نقابية إفريقية كان يرى فيه خطوة حقيقية لتغيير اجتماعي واقتصادي جذري بعد تحقيق الاستقلال السياسي[4].

كان مشروع اللفيف الإفريقي فكرة فانون نفسه، لكنه لم يكن حراً في التصرف بمبادرته الخاصة، حيث ذهب في مارس 1960 إلى القاهرة للحصول على موافقة جبهة التحرير الوطني وهيئة الأركان

---

[1] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 103.

[2] نفسه.

[3] باتريس لومبا، **بلدي "الكونغو"**، ترجمة ج هيث، لندن،1962، ص 32.

[4] Alice Cherki, Op. Cit, p. 210.

العامة الجديدة التي جمعت لأول مرة بين جيوش الحدود الشرقية والغربية تحت قيادة واحدة. ولكن على الرغم من اعتماده رسميًا، إلا أن الفيلق الأفريقي لن يكون أبدًا نقطة نقاش رئيسية في شمال إفريقيا. فمثلا في كلمته التأبينية التي ألقاها في جنازة فرانتز فانون، أشاد بلقاسم كريم، نائب رئيس الحكومة المؤقتة آنذاك، بدور فانون في الكشف عن "الوجه الحقيقي لثورتنا" في العديد من المؤتمرات في إفريقيا، لكنه لم يذكر مرة واحدة مشروع اللفيف الإفريقي[1]. إذا كان من الواضح أن جبهة التحرير الوطني رحبت بعبارات التضامن من إفريقيا، واحتاجت إلى هذا التضامن على الجبهة الدبلوماسية الدولية ، لكن توجه قادة الثورة كان نحو الدول العربية والإسلامية بالخصوص، كما كانت الحكومة المؤقتة مترددة في قبول مقاتلين أجانب في صفوفها. ومهما كان، لا يبدو أن مشروع اللفيف الأفريقي كان على رأس قائمة أولويات جبهة التحرير الوطني[2].

هكذا إذن كان فرانتز فانون مناضلا ومقاوما للاستعمار، ومنظّرا للثورة وما بعد الاستقلال في البلدان الإفريقيّة، إذ لم يكن يفرّق بين الجزائر وبلده الأصلي جزر الانتيل وأرض الأجداد القارّة السمراء عموما. إذ كان يرى أن كل البلدان الواقعة تحت الهيمنة الاستعمارية هي صاحبة الحق في الثّورة، ضد المستعمر(بكسر الميم) وفي التنمية الوطنية لبلدانها الفقيرة التي استنزفها واستغل ثرواتها المتنوعة. والواقع أنّ فانون قد وجد نفسه حائرا بعد تلك النّدوة، يفكر في حال البلدان الإفريقيّة وفي ما أدلى به نكروما من دعوة إلى الوحدة والتضامن الإفريقي. كان فانون يعتقد أن ذلك أمرا صعبا التحقيق خاصة مع ما خلفته أشكال الاستعمار من فرقة، وما كرّسّته من ثقافة أجنبية في تلك البلدان[3].

وفيما بين 26-31 مارس 1959، كان لفانون لقاء آخر مع إفريقيا من خلال المؤتمر الثاني للكتّاب والفنانين السود، الذي التأمت فعالياته في روما. شارك فانون في هذا المؤتمر على الرغم من بعض المعيقات التي واجهته في اعتلاء منصّة الخطابة، بضغط من الحكومة الفرنسية الاستعمارية على الإيطاليين الذين موّلوا هذا المؤتمر، ولكن إصرار المناضل المارتينيكي الكبير على تحدي تلك العقبات الاستعمارية الكؤود، مكنّه من إيصال صوته إلى ممثلي القارّة السمراء بل وإلى العالم كلّه. حين دعى إلى ضرورة الكفاح من أجل تحرّر إفريقيا وتخليصها من مخلّفات الاستعمار على كل المستويات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

---

[1] « Un example toujours vivant », El Moudjahed, 21 decembre 1961.

[2] David Macey, **Frantz fanon A Biography**, VERSO London New York, 2012, p.150.

[3] Alice Cherki, Op. Cit, p. 206.

وأكّد في هذا الخطاب الثّوري لممثلي القارّة الإفريقيّة على نشر الوعي الوطني وترقيته في أذهان الناس، حفاظا على الثقافة الوطنية، للتخلص من التأثيرات الأجنبية والحفاظ على الثّقافة الوطنية باعتبارها تشكّل العمود الفقري في الهويّة الوطنية، لكل أمّة من الأمم. ومن خلال تطوير الحياة الثقافية يتمكن الإفريقي من الإسهام في بناء أمّته وتوضيح معالمها، لاسيما ممّا خلّفه المستعمر(بكسر الميم) من هيمنة واستغلال[1].

والحق أن فانون لم يكن منغلقا على نفسه في إطار القارّة السمراء، بل فقد كان يدعوا إلى الانفتاح على العالم وعدم التقوقع حول القيم المحليّة كالزنوجية أو العربية الإسلامية أو الإثنية على سبيل المثال، هذا المصطلح الأخير كان فانون يتحفّظ منه، ويرى أن الاستعمار قد استخدمه كثيرا في بث روح الانقسام والانشقاق بين الشعوب الإفريقيّة وتكريس الفرقة. خاصة وأنه كان يكره الرموز المجردّة ويدعوا إلى العمل ولا يحب الاختفاء وراء الكلمات، لأنّه يؤمن بالعمل الميداني حتى أنه كان يعارض سارتر في كتاباته ويدعوه إلى تحويل الالتزام النظري إلى العمل.

ويؤكد فرانسيس جونسون في كتابه "إيمان غير المؤمن" أن فانون كان يقول: "من أنا إذا لم أحاول أن أعطي معنى لحياتي، أعتقد أنه من الممكن فهم أناس آخرين ومحاربتهم والعمل من أجل عالم إنساني، وعيش بعض السعادة في نفس الوقت، إنّي أؤمن بذلك لكنني لا يمكن أن أبرهن عليه، وإذا اكتفيت بالاعتقاد فسيكون مجرّد رأي ووعي أجوف، لكن إذا حاولت أن أعيشه سيكون رهانا، سألعب عليه لإعطاء معنا لحياتي"[2].

بناءا على هذا النص يمكن القول أن فرانتز فانون لم يكن كمعاصريه من الفلاسفة الوجوديين مثلا، يرّكز على الفلسفة النظرية، بل إن فلسفته السيّاسية كانت فلسفة عملية، تعتمد على التفكير ثم تحويل تلك الأفكار والنظريات إلى الميدان العملي، ولعلّ هذا ما يتضح بجلاء في تحوّله السريع من مجرّد التفكير في مقاومة الاستعمار، إلى السير في مجرى الثورات المناهضة له. وقد تجلّى ذلك أولا في عمله بمستشفى البليدة عندما كان يقدم الدّعم الطبّي للمناضلين، بل وإلى المجاهدين بعد اندلاع الثّورة، ولم يكتف بمجرّد معاداة الاستعمار أو تقييم سياسته إزاء شعوب المستعمرات، ثم في تحوله ثانيا إلى العمل الثوري في الميدان ضمن جبهة التحرير الوطني في تونس وممثّلا لها في بلدان إفريقية بل وفي بعض المؤتمرات والندوات العالمية في أوربا، علاوة على كتاباته الفكرية التي تُدين الاستعمار بجميع أشكاله وأوجهه المختلفة.

---

[1] فلاديمير ماكسيمنكو، **الأنتلجنسيا المغاربية (المثقفون أفكار ونزعات)**، ترجمة عبد العزيز بوباكير، ط1، دار الحكمة، دار النهضة، مارس 1984، ص ص 144-147.

[2] Alice Cherki, Op. Cit, pp. 206-208.

أيد فانون استخدام العنف كإستراتيجية للنضال، بالنظر إلى حالات الجزائر وكينيا والكاميرون والهند الصينية حيث يعتقد أن الكفاح المسلح من أجل التحرير والعمل المباشر مشروعان لأن النظام الاستعماري هو بطبيعته نظام عنف[1].

ولا شك أن فانون قد اكتسب بفضل نشاطه السياسي وزخمه الفكري النيّر مكانة مرموقة سواء في الأوساط الجزائريّة أو التونسية، بل في إفريقيا كلّها، وممّا زاده مكانة في القارّة أنه زنجي منحدر من أصول إفريقية، وها هو اليوم يعود إلى تربة أجداده ليناضل من أجلها. فكان صلة الوصل الحقيقية بين إفريقيا الشمالية وإفريقيا جنوب الصحراء[2] .حيث واصل نضاله بكلّ حزم والتزام وشعور عميق بقضايا هذه القارّة ومشاكلها الداخلية والخارجية الكثيرة، التي طالما ظلت تتخبط فيها وظلّ يشارك بفعالية في المؤتمرات والندوات الدّولية التي كانت تعالج انشغالات القارّة ومشاكلها السيّاسية والاقتصادية.

في أوائل الستينيات، عينته الحكومة الجزائرية المؤقتة، سفيراً لها في إفريقيا جنوب الصحراء. كانت الساحة الرئيسية لنشاط فانون السياسي في هذه الفترة هي إفريقيا جنوب الصحراء والسبب بسيط: عام 1960 كان "عام إفريقيا"، عندما نالت 18 دولة أفريقية استقلالها. كان هناك الكثير مما يجب فعله لجعل استقلالهم دائمًا وقد زار العديد من الدول الجديدة بالإضافة إلى دول أخرى في مرحلة الإنشاء.

انتهز فانون الفرصة بالسفر إلى غينيا وكوت ديفوار ومالي والكونغو وإثيوبيا وأماكن أخرى. غانا، حيث كان يقيم ، كانت واحدة من العديد من البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية التي زارها. ركز معظم عمله في أكرا على محاولة إخراج اللفيف الأفريقي إلى الوجود. في جانفي 1960، تحدث في مؤتمر في تونس، معلنا أن إنشاء مثل هذه القوة سيكون منارة لجميع أفريقيا. في مارس سافر إلى القاهرة للحصول على موافقة جبهة التحرير الوطني لجهوده، وافقت هذه الأخيرة من حيث المبدأ، لكن يبدو أن هذه المسألة ليست ضمن أولوياتها . ومن جهتها دعمت غانا وغينيا وكذلك ليبيريا جهود فانون[3].

---

[1] Boukari-Yabara Amzat, « 14. Frantz Fanon, au carrefour des Afriques », dans : , Africa Unite !Une histoire du panafricanisme, sous la direction de Boukari-Yabara Amzat. Paris, La Découverte, « Poche / Essais », 2017, p. 194-203. URL : https://www-cairn-info.sndl1.arn.dz/---page-194.htm, consulté le 25/12/2021.

[2] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 26.

[3] David Macey, Op. Cit, p158.

شارك فرانتز فانون في الندوة حول السلم والأمن في إفريقيا، التي انعقدت في أكرا ما بين 7-10 افريل 1960، وفي الندوة الإفريقيّة الآسيوية، فيما بين 12-15 افريل بكوناكري من السنة ذاتها، وفي ندوة الشبيبة الإفريقيّة في جويلية وأوت من السنة ذاتها بأكرا كذلك. ليس فقط كعضو في الوفد الجزائري ولكن الآن كممثل للجزائر.

وهكذا دعمت سلطته الجديدة تدخلاته ومكنته من إقامة علاقات مع قادة كل من الدول المستقلة وحركات الاستقلال بالطريقة الأنسب لمنظوره الاستراتيجي. وإذا كانت المؤتمرات أو الندوات الدولية، لهذا الغرض، فرصًا ثمينة ولكنها مؤقتة، فإن أكرا كانت على العكس من ذلك مركزًا (أفضل ما في إفريقيا) للجهود المستمرة والمنهجية تجاه الوحدة الأفريقية وتحسين العلاقات بين دول العالم الثالث. أتاحت إقامته في غانا فانون، إلى جانب المهام المحددة دبلوماسيا[1]، الفرصة لتقديم إفريقيا (التي تُفهم هنا على أنها إفريقيا السوداء التقليدية) في الجزائر[2] ، وتعريف الآخرين بالثورة الجزائرية كنموذج يحتذى به، فهو يربط باستمرار مصير الثورة الجزائرية بمصير القارة بأكملها، مما يجعلها طليعة الثورة الافريقية[3].

كما شارك في الندوة الثالثة للدّول الإفريقيّة المستقلة في أديس أبابا في شهر جوان 1960[4]، حضرها اثنا عشرة وفدا من الدّول الإفريقيّة المستقلة[5] كما حضرتها هيئات سياسية ووطنية، وقد ركّزت هذه الندوة في أشغالها، على:

أولا: الوحدة الإفريقيّة.

ثانيا: محاولة إيجاد حلول لمشكلات ما بعد الاستقلال.

---

[1] L'une de ces missions diplomatiques était la reconnaissance du GPRA. L'une des réussites de Fanon a été d'obtenir, dans des conditions difficiles, cette reconnaissance du Libéria, où il a passé deux semaines en mai 1960. Peter hudis, Frantz Fanon, **philosopher of the barricades**, plutopress, 2015.p.175.

[2] Comme me l'a dit M'Hamed Yasíd, ancien ministre de l'Information du GPRA, et à plusieurs reprises le représentant algérien à l'ONU : « D'Accra, Fanon nous a fait découvrir l'Afrique. Peter hudis, Op. Cit, p.165.

[3] Boukari-Yabara Amzat, Op. Cit.

[4] Benjamin Stora, Op. Cit.

[5] مجموعة الدول المستقلة : مصر- ليبيا- تونس- مراكش- غينيا- ليبيريا- غانا- نيجيريا- الكامرون- السودان- أثيوبيا- الصومال.

ثالثا: إنشاء مشروع بنك التنمية بإفريقيا، وقد أُعتبر هذا المشروع خطوة هامة في تعزيز إفريقيا المستقلة[1].

زار فانون العاصمة الإثيوبية لحضور مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة، الذي انعقد في الفترة من 14 إلى 20 يونيو. تم التعامل مع الحكومة الجزائرية المؤقتة، التي كان لها صفة مراقب في معظم المؤتمرات التي حضرها فانون، كحكومة شرعية، مثلها مثل مندوبي نيجيريا والصومال. حصلت الكونغو البلجيكية على استقلالها رسميًا في وقت سابق من هذا الشهر ، واستقبل مندوبو جمهورية الكونغو الشابة والضعيفة بشكل خطير ترحيباً حاراً بشكل خاص. كانت المؤتمرات السابقة من هذا النوع قد انطلقت دون وقوع حوادث، لكن المؤتمر في أديس أبابا كان مسرحًا لفضيحة دبلوماسية صغيرة. وقد تم ترتيب الوفود حسب الترتيب الأبجدي، مما جعل الجزائريين في طليعة مبنى البرلمان. عندما دخل السفير الفرنسي المبنى، أدرك فجأة أنه سيجلس بجانب ممثلي الحكومة المؤقتة. ومما زاد من إحراجه ، رفع علم جزائري أخضر وأبيض فجأة. انقلب السفير جونياك على عقبه وغادر المؤتمر. كان الاستفزاز متعمدًا: لقد أحضرت الحكومة الجزائرية المؤقتة علمها الخاص من القاهرة لعدم وجود أعلام جزائرية في أديس أبابا. لم يكن فانون المتحدث الرئيسي للحكومة الجزائرية المؤقتة ولكن محمد يزيد، الذي اكتسب خبرة دبلوماسية كبيرة كمتحدث رسمي باسم جبهة التحرير الوطني في نيويورك، ونجح في إقناع المؤتمر بالدعوة إلى مقاطعة جميع المنتجات الفرنسية. كانت هناك دعوة أخرى لإنهاء الحرب. سيطر اليوم الأخير نقاش حول استقلال الكاميرون[2].

حضر فرانتز فانون مرّة أخرى لقاءً في إفريقيا نهاية شهر أوت وبداية سبتمبر 1960، في مدينة ليوبولد فيل حيث دعى إليه باتريس لومومبا. ذهب مع فانون المناضلان أوصديق ويزيد إلى ليوبولدفيل (كينشاسا الآن) لحضور مؤتمر عموم إفريقيا المنعقد بناءً على اقتراح باتريس لومومبا. وصل الوفد الجزائري في الأول من سبتمبر بعد صعوبات كبيرة، أما قرارات المؤتمر فقد دعت إلى وحدة الكونغو وإدانة السياسة النووية الفرنسية في الصحراء، وأكد خطاب يزيد على أهمية الصداقة الجزائرية الكونغولية لم يكن لهما الكثير[3].

---

[1] حلمي محروس إسماعيل، حلمي محروس إسماعيل، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوطنية الإفريقية**، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2004، ص 742.

[2] David Macey, Op. Cit, p.153.

[3] Ibid.

كانت مشاركة فرانتز فانون في جميع هذه الندوات الرسمية بصفته ممثّلا دبلوماسيا لجبهة التحرير الوطني الجزائريّة، وحاول في جميع تدخلاته تبيين أثر الثّورة الجزائريّة، واعتبارها قدوة ودعما للثورات في إفريقيا، إذ كتب في أحد مقالاته سنة 1960: "... نحن الجزائريين لا نفصل ولا نفرّق بين الكفاح الذي نقوده، وبين روديسيا وكينيا، إن تضامننا إزاء إخواننا الأفارقة... تضامنا فعليّا، تضامنا في العمل المباشر"[1] .

وألقى في شهر افريل من السنة ذاتها، مداخلة[2] تركت أثرها على كل الملاحظين عنوانها: "لماذا اخترنا العنف"، أكّد فيها على تأثير القضية الجزائريّة في أرجاء القارّة، وما تركته من تغييرات في السياسة الفرنسية تجاه تلك البلدان الإفريقيّة، إذ قال في هذا الصدد: " إن التحولات الجديدة في السياسة الفرنسية تجاه إفريقيا ظهرت للوجود بسبب الضغط الذي ولّدته حرب الجزائر..."[3]. ودعى إلى ضرورة توطيد الكفاح والنضال من أجل التخلص من الاستعمار في كافة أقطار القارّة وعدم الاهتمام بالكفاح الوطني على حساب الكفاح الإفريقي، فقال: "يجب عدم عزل الكفاح الوطني عن الإفريقي لأنّه من غير الممكن تطبيق سياسة التسويات المنفردة مع القوى الاستعماريّة"[4].

إذ كان يدرك تماما أن الفُرقة لن تحقق الانتصار أبدا، ولن تهزم المحتل في يوم من الأيام، كما تحدّث في هذه المحاضرة كذلك عن الإمبريالية التي تعدّ وجها آخر من وجوه الاستعمار، وشكلا جديدا من أشكال الهيمنة والاستغلال، إذ عبّر عن ذلك قائلا: "الإمبريالية من جهتها تقوّي مواقعها وتكشف عن وجوه وأشكال جديدة للاستمرارية"[5].

نستخلص من هذه المداخلة مسألتين رئيستين:

الأولى: هي أن فانون قد أصبح يتحدث عن الثّورة الجزائريّة، باعتباره وطنيا جزائريا مؤكدا أن الثّورة الجزائريّة، هي التي أجبرت الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية على تغيير سياستها إزاء المستعمرات في إفريقيا، فبعد أن كانت تعتبرها ممتلكات خاصة للأمة الفرنسية وحدها يحكمها الدستور الفرنسي، وقوانين المستعمرات التي سنها فقهاؤها ورجال القانون فيها. صارت تفكّر في نظم وأساليب مرنة للإبقاء على علاقة ودية ومصلحية مع هذه البلدان الإفريقيّة، بدلا من اعتبارها بلدانا تقع تحت هيمنتها.

---

[1] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق. ص. 179.

[2] هذه المداخلة لم تنشر إلا باللغة الإيطالية في أحد المجلّدات، حيث جمع فيها "pirilli" مختارات من نصوص فانون.

[3] Alice Cherki, Op. Cit, p .212 .

[4] Ibid.

[5] Ibid.

الثانية: أكد فانون في هذه المناسبة على أنّ الكفاح الوطني في الجزائر ينبغي أن لا يكون منفصلا عن الكفاح في البلدان الإفريقيّة الأخرى، لأن الإتّحاد في المقاومة وفي النّظرة إلى المستقبل بين هذه الشعوب، هو الكفيل وحده بإرغام فرنسا على الإذعان إلى مطالب هذه الأمم المكافحة.

2. فرانتز فانون منظرا وناشطا ثوريا في إفريقيا

حذر فرانتز فانون الأفارقة من بعض المشاريع الاستعمارية التي قد تبقيهم تحت وطأة الاستعمار لمدة أطول، خاصة مشاريع الجنرال شارل ديغول، ودعا في المقابل إلى الوحدة والتضامن الإفريقي في مواجهة المناورات الغربية. وبعد الصعوبات الكبيرة التي عرفها العمل الثوري في الجزائري خاصة بعد إنشاء الأسلاك الكهربائية موريس وشال، اقترح فانون وناضل من اجل فتح جبهة جنوبية وضم المتطوعين الإفريقيين للثورة الجزائرية.

1.2 تصورات فانون لحاضر ومستقبل إفريقيا

نبّه المفكر الثائر إلى علاقات القادة الأفارقة الجدد بشعوبهم وبالدّول الاستعماريّة على أن لا ينخدعوا ببعض السياسات الأجنبية، التي قد تعيدهم إلى المربّع الأوّل الذي انطلقوا منه في الكفاح ضد هذه الدّول نفسها، إيمانا منه بأنّ هذه القيادات ما تزال تعوزها الخبرة والدراية بأساليب الحكم والعلاقات بينها وبين أعداء الأمس.

وهكذا إذن تابع فانون كل التحركات السيّاسية والعسكرية التي كانت تحدث في إفريقيا من انشقاقات وخيانات ودسائس ومحاولات للاتّحاد، وفشلها لأسباب مختلفة. إذ شهد عن كثب التّجربة الفاشلة التي تجسّدت في "اتّحاد مالي" الذي تأسّس في 21 جوان 1960 وجمع كل من: السنغال والسودان الفرنسي، وفولتا العليا. ولكنه لم يدم إلاّ ثلاثة أشهر فقط، إذ سعت السلطات الفرنسية بمساعدة هفويت بوانييه، على تحطيم هذا الإتّحاد وضغطت على فولتا العليا وهددّتها بمنع مرور صادراتها من ساحل العاج، ذلك أنّ فولتا العليا بلد داخلي ليست لها سواحل ولا موانئ بحرية، فانسحبت هذه الأخيرة من الإتّحاد مرغمة، وبذلك فشلت هذه المحاولة. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فقد تابع فانون محاولة الإتّحاد التي دعى إليها الزّعيم نكروما، بين غانا ونيجيريا، إذ صرّح بكل تفاؤل قائلا: "منذ اليوم يمكنكم أن تعتبروا غانا ونيجيريا شيئا واحدا".

ولكن ذلك لم يكن تصريحا واقعيا، لأن نيجيريا حتى هذا التاريخ لم تكن قد تحصّلت على استقلالها الفعلي، وكان الأولى بها أن توحّد أقاليمها الداخلية أولا بما تحتويه من تناقضات واختلافات بين خمسة وثلاثين مليونا من سكّانها[1]. ولكن فشل هذا الإتّحاد أيضا لم يثن من عزيمة نكروما الزّعيم الغاني، الاشتراكي الماركسي الذي تأثر هو الآخر على غرار فانون بهيجل وماركس وانجلز ولنين والمفكر

[1] دافيد كوت، المرجع السابق، ص ص 99-100.

الاشتراكي دي بوا [1] Du bois فراح يدعو مرّة أخرى إلى اتّحاد إفريقي عام يضم جميع الدّول المستقلة، وكذلك الدّول التي أوشكت على الاستقلال، وكان الهدف من هذا الاتّحاد هو العناية بالمصالح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لهاته البلدان.

وإذا كانت الظروف السيّاسية والتأثيرات الأجنبية لم تسمح باتّحاد هذه البلدان أو تلك في إفريقيا الغربية، فإنّ نوعا آخر من هذا الإتّحاد قد ولد فعلا على أرض الواقع في هذه الأقاليم الإفريقيّة، حيث ظهر تيار عُمّالي نقابي يجمع كل النّقابات العمّالية في إفريقيا الغربية، والذي أنشأ في كوناكري سنة 1960 أثناء مؤتمر عمّالي أُنتخب فيه الزّعيم الغيني أحمد سكوتوري رئيسا لذلك الإتّحاد[2].

والحق أن تلك المحاولات الوحدوية التي عرفها هذا الجزء من القارّة السمراء لم تكن إلا محاولات للمّ شمل القارّة، ولكنها بالتأكيد قد باءت بالفشل من جرّاء المناورات الاستعمارية الخارجية، وبعض المؤامرات الداخلية التي كانت نتاجا حتميا للعنصريّة والعصبيّة التي كرّسها الاستعمار في هذه البلاد منذ أمد بعيد. ولكنّها في نفس الوقت كانت الشّرارة التي تفطّنت من خلالها البلدان الإفريقيّة إلى ضرورة الإتّحاد والتعاون لتحقيق الاستقلال الكامل في جميع المجالات، والتخلص للأبد من ربقة المحتل.

وهذا ما دعى إليه فانون دائما، إذ كان يؤيد فكرة الّتضامن والوحدة الإفريقيّة وكتب مقالا بعنوان: "الوحدة والتضامن الفعال شرط لتحرير إفريقيا"، نشر في العدد الثامن والخمسين من جريدة المجاهد الّصادرة في الخامس من جانفي 1960، وقد قال فيه واصفا محاولات الاستقلال: "إن هذا التفاؤل ليس وليد سلوك جديد عن المستعمر (بكسر الميم)جعله يبدوا في مظهر أقلّ وحشيّة وأكثر إنسانيّة، إن التفاؤل الموجود بإفريقيا اليوم، هو نتيجة مباشرة للعمل الثّوري سياسيا كان أو مسلحا أو يجمع بينهما كما هو الحال في أغلب الأحيان للعمل الثوري الذي تقوم به الجماهير الإفريقيّة... إنّ الإفريقي الواقع تحت السيطرة الفرنسية ليس عدوه هو الاستعمار الذي يتسلط على حدود وطنه فقط، ولكنه أيضا هو كل أشكال الاستعمار ومظاهره مهما كانت الراية التي يستظل بها".

وقد خاطب فانون الأمم الإفريقيّة في هذا المقال: "... على الشعوب الإفريقيّة أن تتذكّر بدورها أنّها واجهت شكلا من أشكال النازيّة ونوعا من أنواع استغلال الإنسان كما واجهت محاولة التصفية

---

[1] بيتر لويد، **إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي**، ترجمة شوقي جلال، العدد 28، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، افريل 1980، ص 279 .

[2] محمد عبد العزيز إسحاق، المرجع السابق، ص 154.

المادية والروحية للشخصيّة الإفريقيّة... ويجب عليها أن تلتزم بمواجهة هذا الشرّ بوصفه شرّا فوق كامل التراب الإفريقي..."[1] .

نستخلص من هذا المقال أّن فانون لم يركّز هذه المرّة على وحشيّة الاستعمار وأساليبه الجشعة في استغلال الشعوب فقط، بل فقد حاول أن ينبه أيضا قادة القارّة وشعوبها إلى ضرورة الاهتمام بالهويّة الوطنيّة التي مسخها الاستعمار في جلّ مقوماتها وخصائصها، داعيا إلى مواجهة الاستعمار الذي وصفه "بالشرّ" على أديم هذه القارّة قاطبة لأن الاستعمار هو الشرّ المشترك بين جميع الدّول الأجنبيّة المحتلّة لأراضي غيرها.

ومن خلال احتكاك فرانتز فانون بالشعوب الإفريقيّة عن كتب أدرك أن هذه القارّة قد كتب عليها الاستغلال والهيمنة، وإن كانت قد تحرّرت من قيد الاستعمار فإنّها وقفت من جديد في قبضة الطبقة البرجوازية التي لا تقل وحشية واستغلالا عن الاستعمار الذي طالما رزحت تحت هيمنته[2]. لقد كان فانون يرى أنه لابّد من إغلاق الطريق أمام البرجوازية بعد الاستقلال لتجنّب انتشار الفساد والانهيار الاقتصادي وظهور الطغيان والعنف والإرهاب، وهو الطريق الوحيد في رأيه للتقدم الوطني[3].

كما حذر من البرجوازيّة الإفريقيّة الفتيّة التي يرى أنها مستغرقة في محاولة الحصول على الثّروات، غير قادرة بأيّ شكل من الأشكال على صدّ الأخطار التي تحيط بها، ومن ثم سيطرة الجيش على الحكم، وقد حذر من ذلك في بداية الستّينات وقبل مدة طويلة من الفترة التي بدأت فيها الانقلابات العسكرية في إفريقيا[4] .

وقال:"إنّ صفوف المنتفعين المحتالين الذين ينتزعون بأيديهم الجشعة أوراق النّقد من بلد فقير، سيصبحون عاجلا أم آجلا رجالا من القشّ في أيدي الجيش الذي يوجّهه الخبراء الأجانب بمهارة وبهذه الطريقة يمارس البلد الأمّ السابق حكما غير مباشر عن طريق كل من البرجوازيّة التي يؤيّدها الجيش القومي، الذي يقوده خبراؤه الذين يقمعون الشّعب ويشلّونه ويرهبونه"[5]. وبالفعل فقد كانت

---

[1] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 178 .

[2] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 100.

[3] فرانتز فانون، **معذبوا الأرض**، ترجمة السيدة منور، موفم للنشر، الجزائر، دون تاريخ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص 143.

[4] جاك ووديس، تعريب محمد مستجير مصطفى، **نظريات حديثة حول الثورة (فانون والثورة في إفريقيا)**، دار الفارابي، بيروت، 1978، ص 24.

[5] فرانتز فانون، **معذبوا الأرض**، المصدر السابق، ص 140.

نظرة فانون ثاقبة في هذا المجال ففي عام 1963 حدث انقلاب عسكري ضد الرئيس "أولومبي" رئيس جمهورية توغو وحتى نهاية عام 1968 كان قد وقع أربعون انقلابا أو على الأقّل أزمة حكم في إفريقيا[1].

لقد كان فانون يشعر بالاحتقار والعداء تجاه البرجوازيين من سكان البلاد الأصليين، لأنّه لا يرى فيها إلا عقبة كؤود في طريق الاستقلال[2] وحليفا للإمبريالية، ولعبة هشّة في يد الاستعمار. لم يكن فانون شيوعيا أو ماركسيا قحّا، ولكنّه كان واضحا تماما في تحيّزه للاشتراكيّة إذ يقول: "إنّ نظاما يتّجه بوضوح نحو الشّعب بأسره، ويقوم على مبدأ أنّ الإنسان هو أثمن الممتلكات يتيح لنا أنّ نمضي إلى الأمام بسرعة وانسجام أكبر... فمن أجل أوروبا ومن أجل أنفسنا، ومن أجل الإنسانيّة أيّها الرفاق ينبغي أنّ نبدأ صفحة جديدة وأن نصوغ مفاهيم جديدة، وأنّ نحاول خلق إنسان جديد"[3] .

كما حذر كذلك من نظام الحزب الواحد في البلدان الإفريقيّة، وكيف يصبح هذا الأخير وسيلة لتحقيق الأطماع والأغراض الشخصيّة والامتيازات بكافة أشكالها، وأداة في يد البرجوازية لدعم جهاز الدّولة، وكيف يكون حاجزا بين الشّعب والسلطة، بدل أن يكون أداة الوصل بينهما.

ويتحدث فانون عن كيفية إنشاء نظام الحزب الواحد، الذي يرى أنّه وليدا للبرجوازية فيقول: "... إن البرجوازية العاجزة اقتصاديا، وغير القادرة على أن تكوّن علاقات اجتماعية متماسكة المستندة إلى مبدأ سيطرتها كطبقة تختار الحلّ الذي يبدو لها أسهل الحلول، أي الحزب الواحد... إنّ نظام الحزب الواحد هو الشكل الحديث لدكتاتورية البرجوازيّة بلا قناع وألوان أو وازع أو حياء"[4]. ويؤكّد على عدم جدوى النظّام الأحادي: "يصبح الحزب وسيلة للمغانم الشخصية"[5]. إن فانون على الرغم من أنّ أفكاره أفكاره كانت يسارية أقرب إلى الأنظمة الاشتراكية في العالم، فإنه يحذّر من حكم الحزب الواحد، وهي الظاهرة المنتشرة والمؤكّدة في البلدان الشيوعيّة ذات النظّام الشمولي.

ولعلنا نفهم من الموقف الذي سجّله فانون تجاه البلدان الإفريقيّة المستقلة حديثا أو التي هي في طريق الانعتاق من ربقة الاحتلال، أنّه كان متأثرا بالأنظمة الديمقراطية في الغرب، ولم يكن الفكر اليساري سوى نهجا اتبعه لمقاومة الاحتلال والدّفاع عن الإنسان المضطهد في أي بلد من العالم، لاسيما تلك الأوطان التي كانت له بها علاقة معيّنة كجزر الأنتيل، التي ولد فيها أو القارّة السمراء التي

---

[1] جاك ووديس، المرجع السابق، ص ص 25-45.

[2] نفسه.

[3] فرانتز فانون، **معذبوا الأرض**، المصدر السابق، ص 83.

[4] نفسه، ص 43.

[5] نفسه، ص 138.

ينتمي إليها في أصوله الأولى، فهو بهذه الازدواجية شبيه تماما ببعض الزعماء الوطنيين في البلدان المستعمرّة التي كانت تخوض حرب الاستقلال ضد الدّول الاستعمارية، فهو شبيه عندنا في الجزائر بمحمد بوضياف، عباس فرحات، وغيرهما من الذين كانوا يحملون أفكارا يساريّة، ولكنّهم يفضلّون الأنظمة الليبيرالية لحكم شعوبهم.

والحق أن مسيرة التاريخ بعد الحركات الاستقلالية في إفريقيا قد أثبتت تنبؤ فانون وتحاليله للأنظمة السيّاسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة في إفريقيا، إذ أدرك أنّ هذه البلدان التي انفلتت حديثا من الاستعمار، ستصبح بالتدريج فريسة سهلة للطبقة البرجوازيّة المحليّة المتعاونة مع السلطة الوطنيّة، التي تعتمد في علاقاتها مع فئات المجتمع على الجيش الوطني ذاته، بحجّة الحفاظ على الوحدة الوطنية والاستقلال السياسي والاقتصادي للأمّة، أو ربّما تعاون هذه الطبقة البرجوازيّة مع أعداء الأمس أنفسهم، كما وقع في بلدان إفريقيا الغربيّة.

2.2 مواقف فرانتز فانون من بعض الدول والشخصيات الإفريقية

انطلاقا من آراء فرانتز فانون وتنظيراته المختلفة حول الاستعمار وتنظيم الحكم في القارّة الإفريقيّة، اختارته الحكومة الجزائريّة المؤقتة ليكون سفيرا للجزائر في غانا[1]، فعرّج على أرشيف الشؤون الخارجية بتونس في عهد كريم بلقاسم واطلّع هناك عن السياسة الجزائريّة في إفريقيا قبل أن يلتحق بمنصبه[2]. وبدأ احتكاكه المباشر بالقارّة والاطلاع على أمورها عن كثب، ومن ثم فقد أخذ يكتشف أسباب مختلف الأزمات التي تنهشها من الدّاخل، فتأكّد أنّ النهج الاشتراكي وحده قادر على تحقيق الثّورة الفعلية الأصيلة ضد كلّ أشكال الاستعمار.

وكان فانون يرى أن الإتّحاد السوفياتي قدّم مساعدات هامّة وفعّالة للعالم الثالث في حربه ضد الاستعمار والامبرياليّة، ويبدي تحيّزه الكامل للمعسكر الشرقي. ولقد أكدّ هذا التحيّز، في مقال كتبه في شهر جانفي 1960، وممّا جاء فيه: " عندما نقول نحن الأفارقة أننا محايدون بالنسبة للشرق والغرب، فإننا نعني أنّ القضيّة التي تهمنا في الحالة الراهنة، هي قضيّة كفاحنا ضدّ الاستعمار ... لا نستطيع أنّ نكون محايدين تجاه حرب الإبادة التي تقودها فرنسا في الجزائر، أو اتجاه الميز العنصري في جنوب إفريقيا، إنّنا في نطاق كفاحنا ضد الاستعمار لا نقرأ حسابا إلاّ لصرامة التزامنا وللتّأييد الذي

---

[1] Rédha Malek, **L'Algérie à Evian (histoire des négociations secrètes 1956-1962)**, éditions Dahlab, 1995, p.73.

[2] Alice Cherki, Op. Cit, p. 211.

يبذله لنا هذا البلد أو ذاك، وفي هذا النطاق نستطيع القول أنّ الشعوب التي يطلق عليها اسم (البلاد الشرقية) تساندنا بكيفية حازمة، بينما تَلزم الدّول الغربية جانب الغموض"[1] .

وقد كان لفانون مشروع كتاب أكثر عمقا وتفصيلا لأوضاع القارّة السمراء بعنوان: "الجزائر الوجهة Alger le cap ". وضع له خطّة في سبعة فصول، حرب المغرب وتحرير إفريقيا، ملاحظات حول الشجاعة في الجزائر، الثّورة والأخلاق في الجزائر ملاحظات تقنية عن الحرب، العنف في إفريقيا، علم النفس والتاريخ الزنوجة والحضارة الزنجية (الإفريقيّة).

وراسل بشأنه صاحب دار النشر ماسبيرو، ولكن فانون لم يكتب هذا الكتاب ولم يخرجه إلى حيّز الوجود، لأنّ انشغالاته في القارّة من جهة، وعمره القصير لم يمنحه من جهة أخرى الكثير من الوقت لتحقيق أمله، ويبدوا أنّ هذا المشروع كان الخطّة الأوليّة لكتابه: "معذّبوا الأرض"، لأنّه احتوى على بعض المحاور منه[2].

والحق أن فرانتز فانون كان مركّزا كلّ اهتمامه في هذه الفترة حول القارّة الإفريقيّة ولم يبد الكثير من الاهتمام تجاه العديد من الأحداث في العالم، فهو مثلا لم يعر محاكمة أعضاء شبكة جونسون أي اهتمام، عندما حوكموا غيابيا من قبل المحكمة الفرنسية[3] في شهر سبتمبر سنة 1960، على الرّغم من أهمية هذه الشبكة في حياته[4].

كما أن فانون قد عانى كثيرا من المشاكل السياسية والمؤامرات الاستعمارية أثناء أداء مهمته في إفريقيا لولا العلاقات الطيّبة مع أشخاص شاركوه انشغالاته أمثال عمر أوصديق الذي كان مندوبا للجزائر في باماكو، وبوعلام أوصديق، الذي كان ممثّلا للحكومة المؤقّتة في كوناكري، وإضافة إلى ما شهده في هذه القارّة المعقدّة من بيروقراطية ورشوة وحبّ القادة الجدد للسلطة[5]، فإنّه شهد كذلك مصرع صديقه ورئيس الحكومة الكونغولي باتريس لومومبا، ذلك القائد الذي حاول توحيد الكونغو خاصّة بعد استقلال بلده في شهر جوان 1960. حيث تحرّكت الحركات الانفصالية في هذه المنطقة

[1] محمد الميلي، المصدر السابق، ص 178.

[2] Alice Cherki, Op. Cit, p. 215.

[3] بدون حضور جونسون الذي كان ما يزال هاربا.

[4] Dominique Vidal, "les (traitres) qui sauvèrent l'honneur de la France", le monde diplomatique, septembre 2000, PP. 28-29.

[5] Alice Cherki, Op. Cit, p. 213.

وتمكنت القوى المعادية للوممبا من عزله من منصبه كرئيس للوزراء في الكونغو ومحاصرته في منزله في سبتمبر من عام 1960[1] .

وكانت الحكومة المركزية في الكونغو تسيطر على مقاطعة ليوبولدفيل وأجزاء من مقاطعتي الكونغو الاستوائية وكاساي، ولكن استطاع الانفصالي موريس تشومبي أن يستقل بالجزء الجنوبي من منطقة كاتانجا المنجمية، بدعم من البلجيكيين وكوّن لها جيش وعملة وإذاعة وأسطول جوّي. ووقفت الأمم المتحدّة موقف المتفرّج من هذه الأحداث، بل فقد تآمرت وعقدت الاتفاقيات مع المتمرّد تشومبي، وحتى قوات الأمم المتحدة التي أُرسلت إلى الكونغو بدعوى الحفاظ على استقلال البلد، لم تحرك ساكنا لإنفصال كاتانجا، وانحصرت مهام تلك القوى في دعم الإقطاعيين والسيطرة على الكونغوليين وفشلت كلّ الصيحات التي نادت بضرورة احترام قرارات مجلس الأمن واستخدام تلك القوات لحماية الكونغو.

وقد كان هذا البلد الإفريقي يخدم المصالح الاستعمارية البلجيكية في إفريقيا مع أن مساحته تزيد عن مساحة بلجيكا نفسها باثنتين وسبعين مرّة[2] . وبذلك استطاع الانفصالي تشومبي بالتآمر مع القوى البلجيكية أن ينفذ اغتيال لوممبا في شهر فيفري عام1961[3]. وقد تأثر فانون كثيرا بمقتل هذا الرجل، وكتب مقالا بعنوان "موت لوممبا هل كان بإمكاننا أن نفعل شيئا آخر"، نشر في العدد التاسع والعشرين في مجلّة أفريك أكسيون الصادرة في 20 فبراير 1961، شرح فيه بعض المعطيات السيّاسية في الكونغو وخيوط المؤامرّة التي أودت بحياة لوممبا، فقال: "أعلنت عملية كاتانجا... ماذا كان هدفها؟ طبعا كانت تهدف إلى الاحتفاظ بالإتّحاد المنجمي، لكن الهدف الكامن وراء ذلك هو الدفاع عن المفهوم البلجيكي للاستقلال الكونغولي، لأن قيام كونغو موحد على رأسه حكومة مركزية محترمة تتعارض مع المصالح البلجيكية ... وتمثلت سياسة بلجيكا ... في إثارة المطالب الانفصالية وتأييدها وتغذيتها"[4].

وأكدّ فانون في هذا المقال أنّ لوممبا قد أخطأ في دعوة الأمم المتحدة للتّدخل فقد ثبت أنها عميلة للقوى المناوئة للاشتراكية ولقوى الاستعمار الجديد، إذ يقول: "شيئا فشيئا بدأت تتجسد فكرة التدخل بواسطة الأمم المتحدة، لذلك كان من الواجب عدم توجيه أيّة دعوة لها ... لأن الأمم المتحدة لم تنجح في حل أي مشكل من المشاكل التي تواجه ضمير الإنسان بسبب الاستعمار..."[5]. فلوممبا في

---

[1] Benjamin stora, Op. Cit,

[2] محمد عبد العزيز إسحاق، المرجع السابق، ص ص 212-213.

[3] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 102.

[4] فرانتز فانون، من أجل إفريقيا، المصدر السابق، ص 200.

[5] نفسه، ص ص 202-203.

نظر فانون كان من الأفضل له ولبلاده أن يبتعد عن الأمم المتحدة ويحاول الاستعانة بالقوى الحرّة وبأصدقائه في العالم، بدلا من أن يجري وراء سراب الهيئة الأمميّة.

حقا لقد كان لفانون تعاليق ضافية حول لومومبا في إدارة بلاده التي كانت واقعة بين مطامح الدّول الاستعمارية والقوى الرجعية الانفصالية من الداخل، وتأسّف كثيرا عن أن صديقه الزّعيم لومومبا قد رحل قبل أن يتم رسالته الحضارية في خدمة وطنه الذي تركه فريسة للأطماع الأجنبية والعناصر الداخيلة الطفيلية. فكان خطأ لومومبا في رأي فانون هو أنه آمن بنزاهة الأمم المتّحدة ونسي أنّها كانت عبارة عن جمعية لخدمة الدّول الكبرى من أجل تقسيم العالم.

ولم تقتصر ملاحظات ونصائح فانون على الزّعيم الكونغولي ومن حوله من قادة البلاد. بل فقد كان خطابه موجها لكلّ القوى الحرّة في إفريقيا من البلدان المستقلة حديثا، إذ حذّرها جميعا من الاستغاثة بالأمم المتّحدة، ونصحها بالاعتماد على البلدان الصديقة فقط، التي كانت قادرة في رأيه على دعم تلك البلدان والأخذ بيدها في تحقيق استقلالها السياسي والاقتصادي، وهما ركنان أساسيّان في بناء الدّول[1] .

ولقد أكّد فانون في هذا المقال أن سبب المؤامرات التي أودت بحياة الزّعيم الكونغولي ليس فقط وقوفه ضد الاستعمار والإمبريالية، ولكن لكونه وقف وقفة شجاعة ضد العنصرية التي كانت تعاني منها جنوب إفريقيا منذ بداية حركة الاستعمار الحديث، وقال في ذلك: " من الواضح أن قيام كونغو موحد على رأسه مناضل ضد الاستعمار يشكّل خطرا حقيقيا على إفريقية الجنوبية... لكن لومومبا تعهد باسم شعبه أن يساهم مساهمة مادية في قتل النظّام العنصري بإفريقيا الجنوبية..."[2].

ولكن الشيء الذي أذهل فانون وأسفه كثيرا هو خيانة بعض الأفارقة الذين تبنوا السيّاسية الإمبريالية في الكونغو، وقاموا بدور الوسطاء وأيّدوا نشاط الأمم المتحدة وسكوتها الغريب عن كل ما يجري من مؤامرات في الكونغو[3] .

ويبدوا أن فانون قد تأثر كثيرا بقضية لومومبا، وراح يسرد في مقاله السّالف الذكر كل التحركات والاتّصالات، التي كانت بين لومومبا وبين بعض الدّول غير بلجيكا والبرتغال، وكيف تقرر القضاء عليه بعد زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويوضّح فانون بالتفصيل الهدف الذي اغتيل من أجله لومومبا والتواطؤ الذي وقع بين الدّول الاستعمارية الرامية إلى تأييد سيطرتها على القارّة

[1] نفسه، ص 204 .

[2] نفسه، ص ص 202-203.

[3] نفسه، ص 205.

وبعض الزعماء الأفارقة الضعاف الذين انساقوا مع أهواء تلك الدّول الأجنبيّة وهم لا يعلمون ما الذي سيحيط بهم مرّة أخرى من أخطار استعماريّة[1] .

لقد بلغ تفكير فانون حول إفريقيا إلى درجة التنظير والتأسيس في المجالات السيّاسية والإيديولوجيّة والاقتصاديّة والثقافية، لقد سيطرت قضايا إفريقيا على فكر هذا المناضل الأديب سيطرة تامّة جعلت قلمه لا يتوقف عن الكتابة حول انشغالات القارّة السمراء، إنّ الذي لا يقرأ التفاصيل الضّافية التي وردت في كتب ومقالات فانون عن إفريقيا لا يكاد يصدّق من قال أنّ إفريقيا قد ملكت روح فانون وسيطرت على عقله، كما لو أنّه كان الزّعيم الوحيد الذي يدافع عنها بكلّ ما أوتي من قوة فكريّة وجسديّة.

وإلاّ كيف يتصوّر المرء أن رجلا من جزر الأنتيل درس في جامعات فرنسا وعمل في مؤسساتها الاستشفائية بالوطن الأم وفي الجزائر على التوالي يغادر ميدانه الأصلي ليلتحق بثورة كانت ما تزال في منتصف الطريق، لم تصل حتى إلى اعتراف الأصدقاء بها ولا حتى العدو للتفاوض ووقف إراقة الدماء ووضع تصوّر مستقبلي بين الطرفين لإعادة بناء العلاقات الجزائريّة الفرنسية من جديد، مع ذلك كلّه يلتحق بها فانون وعلى جناح السرعة ومن خلالها يتحوّل إلى خدمة كل القضايا الإفريقيّة العادلة بإخلاص وحماس كبيرين، لم يسبق لهما مثيل لدى بعض الزعامات الأجنبية إزاء قضايا شعوب أخرى.

وها أنا أعود مرّة أخرى مع فانون للحديث عن باتريس لومومبا، الذي اعتبر اغتياله اغتيال لإفريقيا الحرّة، إفريقيا المستقلة. نعم لقد علّق فانون على هذا الرجل الكثير من الآمال لإخراج إفريقيا من النّفق الاستعماري إلى الأبد، ولكن أيادي الغدر والخيّانة قد عجّلت بموته لكي يترك الباب مفتوحا على مصرعيه للمتكالبين على هذه القارّة التي يريدون إعادتها مرّة أخرى إلى الاستعمار والاستغلال والعبودية[2].

حقا لقد كان فانون مدركا تمام الإدراك لما تشكله بعض الشخصيّات الوطنيّة من أهميّة في حماية استقلال بلدانها والسير بها نحو التحرّر والانعتاق، وبناء دول حديثة مناهضة للاستعمار والإمبرياليّة العالمية، ولكنّه لم يكن متأكدا من ظهور شخصيات أخرى مماثلة لشخصية لومومبا. وإذا كان فانون قد تأثر كثيرا باغتيال لومومبا، فإنه تألم كثيرا أيضا لاغتيال صديقه القائد الكاميروني فليكس مومي.

وقد كتب عنه كتابة أصيلة في مذّكراته أثناء رحلته إلى إفريقيا عام 1960 ممّا جاء فيها على سبيل المثال: "قال لي فليكس مومي سنشهد في ظرف ثلاثة أشهر تقلّصا هاما للاستعمار في الكاميرون".

---

[1] نفسه، ص 202 .

[2] Alice Cherki, Op. Cit, p. 213.

ولكن بعد أيام "وصلتنا برقية تقول أنه يوجد في المستشفى، ثم قيل لنا أنّهم سمّموه، ووصلنا النبأ بعد أيام مات مومي... لم نحس بهذه الميتة، نعم إنّه اغتيال، لكن لم تصاحبه طلقات رشاشة أو دوي قنبلة إنه سمّم بمادّة التاليوم... إنّها ميتة مجرّدة، تضرب أكثر الرجال وجودا وحيوية..."[1].

إذن كان فانون يتّبع خطوات اغتيال الزّعيم الكاميروني فليكس مومي، مؤكّدا أن وفاته كانت كوفاة سائر الزعماء الكبار في العالم، إنّها ليست بطلقات الرصاص ولا بدوي المدافع أو أزيز الطائرات، ولكن بالموت المدسوس في الطعام والشراب وهي ظاهرة تميّزت بها الاغتيالات السيّاسية عبر التاريخ، وقد وصف فانون فليكس مومي وصفا دقيقا في كلامه في لهجته في أسلوبه في جسده: "... لقد كانت لهجة فليكس مومي دائما عالية، عنيفة، ساخطة، محبّة لبلدها، بغوضة للخونة والمناورين كان صلبا غير قابل للفساد، إنّه عبارة عن وقود ثوري يوجد داخل ستين كيلوغرام من اللحم والعظم"[2].

ومن القضايا التي سيطرت على فكر فانون في هذه المرحلة هي تدعيم الكفاح المسلّح في أنغولا. حيث اقترح فرانتز فانون تشجيع الكفاح المسلح حيثما اقتضت الحالة ذلك. بدأ هذا المشروع في أنغولا، وهي أرض تغلغل البيض، حيث أصبح التوتر بين المستعمرين والمستعمرين متفجراً، وسعى إلى خلق "جزائر ثانية" هناك، فيما استمرت الحرب الجزائرية. في عام 1959، في أكرا التقى فانون هولدن روبرتو، الذي أصبح فيما بعد زعيما لاتحاد شعوب أنغولا (UPA). كان فانون مصدر إلهام لروبرتو وساعده. من ناحية أخرى، رفض فانون مساندة نضال الحركة الشعبية لتحرير أنغولا(MPLA) أو الوثوق بزعيمها، أغوستينو نيتو، أحد أكثر القادة الأفارقة ترسخًا سياسيًا ومنظرا صلبا. من المحتمل أن يكون فانون قد اختار بين حركة (UPA) - التي لديها قاعدة فلاحية وإمكانية التطور في الأرياف والغابات– وأخرى، الحركة الشعبية لتحرير أنغولا - التي ولدت من الصراعات الحضرية، وعلى وجه الخصوص في لواندا، العاصمة الأنغولية، مع احتمال ضئيل للتطور في المناطق الريفية في ذلك الوقت. يرى بعض الدارسين لفانون أن إحدى جوانب شخصيته : ارتباطه العاطفي وغير النقدي بالأشخاص القلائل الذين وثق بهم في مرحلة ما[3].

كان فانون قد قدم دعمًا لروبرتو من القادة الأفارقة الرئيسيين، وأخذه إلى تونس معه. هناك، حصل فانون على إذن لروبرتو لإرسال رجال حركته إلى تونس لتلقي التدريب على تقنيات حرب

---

[1] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص 186.

[2] نفسه.

[3] Giovanni Pirelli & Rachel E. Love, Biographical Note on Frantz Fanon, Interventions: International Journal of Postcolonial Studies, 17:3, 394-416, 2015, DOI: 10.1080/1369801X.2014.993680 , p.408, consulté le 11/11/2021.

العصابات، بموافقة ضمنية من الحكومة التونسية والتعاون المباشر من جيش التحرير الوطني المتمركز على الحدود الجزائرية التونسية. أخيرًا ، في عام 1960 ، شجع فانون روبرتو على الشروع في عمل مسلح على الأراضي الأنغولية[1].

أخيرًا، الكونغو: خلال الأشهر التي قضاها فانون في أكرا، تأرجحت الكونغو بين تنفيذ شعارات لومومبا وحركته- على المستويين الوطني والإفريقي - واستئناف هجوم الاستعمار البلجيكي، ليس هناك ما يؤكد، أن فانون أثر على موقف لومومبا[2].

3.2 محاولة فانون فتح جبهة جنوبية ضد الاستعمار الفرنسي

كان فرانتز فانون قلقا مما كان قد يحدث في الجزائر بعد فتح اتصالات بين الجانبين الفرنسي و الجزائري. فقد كان يخشى أن يقوم الفرنسيون بعرض حل وسط على جبهة التحرير الوطني وإبقاء الجزائر في مدارها الاستعماري الجديد، كما فعلت مع العديد من البلدان الأفريقية المستقلة حديثًا. وكان يعتقد أن الطريقة الوحيدة لتجنب ذلك هي تزويد الثورة بما يكفي الدعم المادي للحفاظ على الكفاح المسلح. خاصة ان الثّورة الجزائريّة كانت تعيش مرحلة خانقة، بسبب خطي شال وموريس اللذين أقامتهما السلطات الاستعماريّة على الحدود الجزائريّة التونسية والحدود الجزائريّة المغربية لمنع مرور الإمدادات من هناك[3]. وكلما استمر الوضع، زاد خطر إجبار جبهة التحرير الوطني على تسوية لا تكون في مصلحة الجزائريين. اعتبر فانون أنه من الضروري إنشاء جبهة جديدة لنقل الأسلحة والذخيرة من غرب إفريقيا إلى جنوب الجزائر، وقضى معظم ما تبقى من عام 1960 في إيجاد طريق لما سيصبح "الجبهة الجنوبية" للثورة الجزائرية[4].

ولقد لقي هذا المشروع القبول والدّعم من الحكومة الجزائريّة المؤقتة، واختير من الجزائر للإسهام في تنفيذ هذه المهمة شخصان مقرّبان من قيادة الأركان[5]، هما هواري بومدين(محمد بوخروبة)

---

[1] Ibid.

[2] Ibid.

[3] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 105.

[4] Peter hudis, Op. Cit, p.109.

[5] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 102.

وهو أحد مسؤولي قيادة العمليات في وجدة بالمغرب، وعبد العزيز بوتفليقة[1] الذي كلّف بالإعداد عسكريّا لهذه القاعدة في جنوب الصحراء. كما أوصى مؤتمر العمل الإيجابي الذي انعقد بأكرا في أبريل 1960 بـ "تشكيل لفيف من المتطوعين الأفارقة للقتال إلى جانب الرفاق الجزائريين"[2].

وقد كتب فانون في مذكراته مقالا بعنوان: "إفريقيا المستقبل" سنة 1960 بخط يده أثناء رحلته في إفريقيا عن المشروع الذي اقترحه مقالا بعنوان"إفريقيا المستقبل" شرح فيه الملابسات المختلفة التي أحاطت به وممّا جاء في هذه المذكرات: أن قادة ولايات جيش التحرير الوطني قد عقدوا اجتماعا في الشمال القسنطيني في نهاية عام 1958، أفضى إلى التحذير من الخطر التدريجي الذي أصبح يهدّد الثّورة في الداخل بسبب الأجهزة التي وضعها العدو الاستعماري في مختلف المناطق من البلاد، مثل: المناطق المحرّمة ومراكز التجمع أي المحتشدات التي تهدف إلى عزل جيش التحرير عن السكان.

وقد تقرّر في هذا الاجتماع إيفاد العقيد عميروش إلى تونس لشرح حقيقة الوضع للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائريّة، من أجل تحديد الوسائل التي تمكن من تموين الداخل بالسّلاح والذخيرة والمال.

وتضيف مذكرات فانون وكما هو معروف، أنّ العقيد عميروش قد استشهد في الطريق مع رفيقه سي الحوّاس بمنطقة بوسعادة في شهر مارس 1959. ويواصل فانون في مذكراته حديثه عن الثّورة ووضعية الجزائر على الحدود: "بما أن الجيش الفرنسي كان قد عزّز خطوطه على الحدود فقد أصبح من الصعب تموين الداخل عن طريق تونس والمغرب..."[3]. وفي شهر مارس 1960عُيّن فانون ممثلا للجزائر في أكرا كما سلف الذكر، وخلال إقامته هناك لاحظ وجود إمكانية أخرى لتدعيم الداخل عن طريق حدود جنوب الصحراء وبالضبط عن طريق مالي[4].

---

[1] عبد العزيز بوتفليقة، كان أثناء الثورة قد استعار اسم عبد القادر المالي، كما هو الحال بالنسبة للقادة الثوريين.

[2] Conference on Positive Action and Security in Africa : Accra, April 7-10, 1960, Accra Government Printer, 1960, cité par Young Robert J.-C, Ploux Marie, Op.Cit, P.87.

[3] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص 183.

[4] نفسه.

وقد رسم لنفسه مجموعة من الأهداف في هذه الفترة، لعلّ أهمها تنشيط إفريقيا الإعانة على تنظيمها وتجميعها وراء المبادئ الثورية، الإسهام في حركة القارّة[1].

ويتحدّث فانون باسمه كجزائري سنة 1960، فيقول: " كانت الوضعية واضحة بالنسبة لنا نحن الجزائريين، وإن كان الميدان صعبا فيتعيّن علينا... أن نقيم الدليل على أنّ هذه القارّة تتشكل كلا واحدا بواسطة قيام مظاهر ملموسة، كما يتعيّن علينا أن نبرهن أنه في الإمكان أن نحدّد من وراء الاختيارات العامّة للمسيّرين، النقاط المعنية التي يمكن أن تلتقي فيها الشعوب وتتعاون وتتبنى بناءا مشتركا..."[2].

كما كتب فانون في الملاحظات التي تم تدوينها خلال هذه الرحلة إلى مالي:" [هو] فتح الجبهة الجنوبية. إيصال الأسلحة والذخائر من باماكو ومساعدة سكان الصحراء على الانتفاض والتسلل إلى المرتفعات الجزائرية. فبعد نقل الجزائر إلى أركان إفريقيا الأربع، العودة بكل إفريقيا إلى الجزائر الإفريقية ، إلى الشمال، إلى مدينة الجزائر القارية"[3].

وكانت خطة فانون المتعلقة بفتح جبهة جنوبية مع الثّورة الجزائريّة، تتمثل في جلب الأسلحة والذخيرة من باماكو عبر السنغال وغينيا وساحل العاج وغانا ونيجريا وتوغولاند وصولا إلى النجود الجزائريّة[4] مع توعية سكان الصحراء والاستعانة بهم لتحقيق هذه الخطة، وكان يأمل في تطبيق خطّة شاملة في إفريقيا كلّها مع بعضها البعض عن طريق إنشاء مسالك كبرى وأجهزة مواصلات عبر الصحراء، ومن ثم الوصول إلى الوحدة الإفريقيّة[5].

ولكن هذه الخطة كما اعترف بذلك فانون نفسه كانت صعبة التحقيق تتطلب إمكانات ضخمة ومجهودات جبّارة لتنفيذها في الميدان، ويذكر فانون أنهم كانوا ثمانية أشخاص مكلّفين بهذه المهمّة يختلفون في اختصاصاتهم ما بين (فرق كومندوس جيش اتصالات لاسلكية، محافظون سياسيون، السلك الصحي)، وقد ذكر فانون من بينهم ثلاثة هم: كلودين شولي، عبد العزيز بوتفليقة، وفانون كما كان يحب أن ينادوه عمر الجزائري أو عمر فانون[6].

---

[1] نفسه، ص 184.

[2] نفسه، ص 185.

[3] Giovanni Pirelli & Rachel E, Op.Cit.

[4] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 102.

[5] نفسه، ص 187.

[6] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص 187.

انطلق فانون وفرقته لتحقيق هذه الخطة في الميدان عن طريق الجو، ولكن المخابرات الفرنسية التي كانت تتّبع خطاهم أجبرتهم على سلوك الطريق البري لأنها كانت تريد القبض عليهم عن طريق موظّفي الطائرة، الذين كانوا يريدون تنويمهم كي تسهل قيادتهم إلى ساحل العاج الدّولة العميلة لفرنسا[1]. وعندما وصل فانون وفرقته إلى باماكو عاصمة مالي لاقوا ترحيبا كبيرا من قائدها موديبو كيتا الذي أبدى استعداده لتقديم أيّة مساعدة ممكنة وغير مشروطة[2].

كان فانون قد زار بالفعل باماكو، مالي مرة سبتمبر من عام 1960 وأجرى محادثة ، اعتبرها مثمرة مع الرئيس موديبو كيتا وغيره من القادة الرئيسيين مثل وزير الداخلية ماديرا كيتا. عاد في نوفمبر بمشروع تم إعداده والموافقة عليه من قبل الحكومة لمؤقتة للجمهورية الجزائرية[3].

حصل فانون على أموال وأسلحة صغيرة من غانا، بالإضافة إلى دعم غينيا ومالي، وفي سبتمبر 1960، انطلق من كانكان (kankan)، غينيا ، لاستكشاف طريق إلى جنوب الجزائر. أصبح الدبلوماسي الثوري الملاح لتسليم الأسلحة العسكرية. مع عدد صغير من الزملاء ، اتبع طرق التجارة القديمة عبر المغرب العربي لتحديد جدوى المشروع[4]. خلال هذه الرحلة الطويلة والصعبة، عثر على مجموعة من الكتب في كيدال عن الإمبراطوريات القديمة لمالي وغانا وغاو ويستهلكها بشغف[5].

وقد كتب عن ذلك فانون قائلا: "ها نحن في باماكو عاصمة مالي، إنّ موديبو كيتا الذي لم يتخل عن صفته كمناضل يفهم القضية بسرعة، فلا حاجة للخطب الطويلة، إنّ جلسات العمل تسير بسرعة..."[6]. توجّه فانون ورفاقه بعدها إلى طريق خطر وطويل إلى "جاو" ومنها إلى تمنراست حيث أجرى أجرى اتصالات مع الزعماء المحليين وجمع معلومات مهمّة عن الظروف المحلية هناك[7].

---

[1] محمد شرقي، **كتاب مشروع المجتمع في تصورات النخبة السياسية الجزائرية المعاصرة، المجتمع الجزائري في تصور فرانتز فانون (1953-1961)** الطبعة الأولى، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، مطبعة بغيجة، الجزء الثاني، 2008، ص 183.

[2] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 107.

[3] Giovanni Pirelli & Rachel E, Op.Cit, p.408.

[4] Ibid.

[5] Peter hudis, Op.Cit, p.109.

[6] فرانتز فانون، **من أجل إفريقيا**، المصدر السابق، ص 190.

[7] نفسه.

وعلى الرغم من طول الطريق ومعاناة السفر، فإن فانون كان شغوفا كعادته بالقراءة ولا يستطيع التوقف عنها حتى في أصعب الظروف، فقرأ بعض الكتب حول تاريخ السودان واطلع على تاريخ الإمبراطوريات القديمة في غانا ومالي وجاو[1] .

ولكن على الرغم من كلّ تلك الجهود التي استُنفذت في تطبيق ذلك المشروع فإنّه لم يتحقق، ذلك أن فانون سقط فريسة للمرض فخاب ذلك الأمل الذي كان سيجسده ويجسّد من خلاله الوحدة الإفريقيّة الفعلية[2]، فعاد إلى تونس منهك القوى ولم يستطع بعدها العودة إلى إفريقيا أبدا.

تركت الرحلة الاستكشافية عبر مالي إلى الحدود الجزائرية فانون منهكًا. كان السفر شاقًا وكان فانون ورفاقه قد غطوا أكثر من 2000 كيلومترات. لم يكن لدى فانون خبرة سابقة بظروف الصحراء. فقد الكثير من وزنه وبدا وجهه نحيلاً الآن. على الرغم من حالته البدنية السيئة، واصل محاولة العمل وقدم مساهمة نهائية في نشرة المعلومات باللغة الإنجليزية التي أصدرتها "مهمة في غانا" التابعة للحكومة الجزائرية المؤقتة[3].

وبعد هذه التّجربة الإفريقيّة التي كانت فاصلا فعليا في حياته، بقي فانون على اتصال مع جبهة التحرير الوطني من خلال لقاءات هيئة تحرير المجاهد، غير أن الملاحظ أن فانون تراجعت طاقته في هذه الفترة، في تزويد صحيفة المجاهد بملاحظاته وانتقاداته العالية المستوى، واقتصرت على لقاءات هيئة التحرير[4].

كان هناك عدد من الاحتمالات: توريد الأسلحة لقوات جيش التحرير الوطني الموجودة بالفعل في الصحراء ؛ إمداد الولايات الأولى والثانية وما تبقى من الولاية السادسة ؛ أو إنشاء خطوط هجوم عند تسعين درجة إلى خط أطلس تيليان ثم التحرك شرقًا للارتباط بالولايات. كان فانون يؤيد الخيار الأخير وتصور مجموعات صغيرة من الرجال المعينين محليًا تتحرك شمالًا في تسلسل منظم. كانت الأولوية العاجلة هي الأسلحة وكان فانون يفكر على نطاق واسع: 10000 بندقية و 4000 رشاش صغير و 600 رشاش ثقيل و 300 إلى 400 قاذفة صواريخ يجب نقلها إلى الحدود في غضون شهرين. بحلول جانفي 1961 ، كان من الممكن أن يكون هناك ما بين 500 و 800 مسلح داخل الجزائر[5].

---

[1] نفسه، ص 192.

[2] Alice Cherki, Op .Cit, pp. 214-218.

[3] David Macey, Op. Cit, p.210.

[4] Benjamin Stora, Op. Cit.

[5] David Macey, Op. Cit, p.185.

لم يسير أي فيلق أفريقي قط من باماكو إلى جنوب الجزائر، لكن عملت مجموعات صغيرة من المقاتلين في منطقة ادرار. ومع ذلك، كانت العمليات على نطاق صغير ولم يُنظر إليها على أنها مقدمة لغزو كبير من الجنوب رغم تجنيد بعض القوات المحلية. تجدر الإشارة إلى أن الجبهة الجنوبية لم يتم التعامل معها أبدًا بجدية من الناحية العسكرية[1]، كما أن إصابة فرانتز فانون بمرض سرطان الدم الذي توفي على إثره في السادس من ديسمبر 1961عن عمر يناهز السادسة والثلاثين عاماً ساعد على دفن المشروع نهائيا.

من هنا يدرك الباحث بوضوح مدى حب فانون لإفريقيا وتعلّقه بمستقبلها والاستماتة من أجلها، إنّه رجل مفكّر كما أنه رجل عمل واستقصاء عن الحقائق والملابسات التي تحيط بكل قضية من قضايا إفريقيا، تكوين جبهة في الجنوب على الحدود مع مالي[2].

وكان فانون يطمح في زيارة كوبا ولكن الموت كان أسرع منه، ولم يحقق ذلك الأمل، وقد كتب عن فدال كاسترو، وقال: "لقد استولى كاسترو على زمام الحكم في كوبا ثم سلّمه للشعب"، وهذا هو السبب الذي جعل الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل فتحاول أنّ تساعد في قيام ثورات معاكسة لقلب نظام الحكم هناك[3].

خاتمة

نستخلص من هذا المقال أن فرانتز فانون كان احتكاكه بإفريقيا جنوب الصحراء من خلال القضية الجزائرية في العديد من المؤتمرات هناك، ومن ثم زاد تعمقه بقضايا القارّة بمختلف أشكالها وبكل تعقيداتها، وتعرّف على معظم القادة الأفارقة ككوامي ونكروما فليكس مومبي، باتريس لومومبا، روبارتو هولدن.

وشهد محاولات هؤلاء الزعماء في لم شمل القارّة من خلال التحالفات المختلفة للوصول إلى وحدة إفريقية شاملة، ولكنّه في نفس الوقت أدرك أن القارّة تتخبط في مشاكل كثيرة وأن استقلالها السياسي غير كاف لتحقيق تحريرها من قيود الاستعمار الإمبريالي.

هذا الأخير الذي ظهر بأوجه وأشكال جديدة ومتعدّدة، خاصّة ممّا رآه في القادة الأفارقة الجدد من جري وراء مصالحهم الشخصية، بل وتواطؤ بعضهم مع المستعمر(بكسر الميم) كهفويت بوانييه قائد ساحل العاج مثلا. كما شاهد فانون عن كثب ما يحصل في البلدان الإفريقيّة من بروز

[1] Ibid.

[2] Benjamin Stora, Op. Cit.

[3] دافيد كوت، المرجع السابق، ص 102.

للبرجوازية وسيطرة الحزب الواحد وحياكة الدسائس والمؤامرات بتواطؤ مع أطراف خارجية، وقد أدّى بعضها إلى تصفية بعض القادة الأفارقة، كباتريس بلوممبا وفليكس مومي.

ونظرا لكلّ هذه الأوضاع المعقدة وغيرها في القارّة حاول فانون تقديم بعض الاقتراحات لعلّ أهمها ضرورة عدم عزل الكفاح الإفريقي عن الكفاح الوطني في أي بلد إفريقي، ومن ثم البحث عن وحدة إفريقية فعلية، والتي حاول هو بنفسه تجسيدها من خلال محاولة إنشاء جبهة جنوبية لدعم الثورة الجزائرية، لأنّه كان مؤمنا تماما أنّ هذه الأخيرة هي السبب الرئيس الذي عجّل وتيرة الحركات التحريرية في القارّة الإفريقيّة قاطبة. وكان يهدف على المدى الطويل إلى دمج الثورة الجزائرية في مشروع انتفاضة القارة الإفريقية بأكملها.

إنّ تتبّع ما كتبه فانون حول إفريقيا لا يستطيع إلا أن يلاحظ انسياب الأفكار التحرريّة والإنسانية التي امتلأت بها مؤلفاته ومقالاته، والتي لا يفرق فيها بين الشمال والجنوب أو بين الشرق والغرب، بل فإنه ينظر إليها كوحدة متماسكة ينبغي أن تتحرّر من النير الاستعماري عاجلا أو آجلا.

قائمة المراجع:

تكون قائمة المصادر والمراجع مرتبة ترتيبا ابجديا (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) مع تقسيمها إلى عربية واجنبية (ABCDEF).

1- الميلي محمد ، فرانتز فانون والثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ.

2- وديس جاك ، تعريب محمد مستجير مصطفى، نظريات حديثة حول الثورة (فانون والثورة في إفريقيا)، دار الفارابي، بيروت، 1978.

3- حلمي محروس إسماعيل، حلمي محروس إسماعيل، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوطنية الإفريقية، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2004.

4- كوت دافيد، فرانتز فانون، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة الأولى،1971.

5- لوممبا باتريس، بلدي "الكونغو"، ترجمة ج هيث، لندن،1962.

6- لويد بيتر، إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة شوقي جلال، العدد 28، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، افريل 1980، ص 279 .

7- ليندر رولف ايتا ، عشرة رجال من إفريقية حياتهم، أعمالهم، أهدافهم، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ.

8- ماكسيمنكو فلاديمير، الأنتلجنسيا المغاربية (المثقفون أفكار ونزعات)، ترجمة عبد العزيز بوباكير، ط1، دار الحكمة، دار النهضة، مارس 1984.
9- محمد عبد العزيز إسحاق، نهضة افريقية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1971.
10- سعد الله أبو القاسم، منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، بدون تاريخ.
11- فانون فرانتز، من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
12- فانون فرانتز، معذبوا الأرض، ترجمة السيدة منور، موفم للنشر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
13- شرقي محمد، كتاب مشروع المجتمع في تصورات النخبة السياسية الجزائرية المعاصرة، المجتمع الجزائري في تصور فرانتز فانون **(1953-1961)** الطبعة الأولى، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، مطبعة بغيجة، الجزء الثاني، 2008.
14- Ajari Norman, Race et violence : Frantz Fanon à l'épreuve du postcolonial, Université Toulouse le Mirail, 2014.

15- Boukari-Yabara Amzat, « 14. Frantz Fanon, au carrefour des Afriques », dans : Africa Unite ! Une histoire du panafricanisme, sous la direction de Boukari-Yabara Amzat. Paris, La Découverte, « Poche / Essais », 2017, p. 194-203. URL : https://www-cairn-info.sndl1.arn.dz/---page-194.htm
16- Cherki Alice, Frantz Fanon portrait, éditions du seuil, paris septembre 2000.
17- Costantini Dino, « 9. Les Damnés de la terre de Frantz Fanon », dans : Mission civilisatrice. Le rôle de l'histoire coloniale dans la construction de l'identité politique française, sous la direction de Costantini Dino. Paris, La Découverte, « TAP / Études coloniales », 2008, p. 224-259. URL: https://www-cairn-info.sndl1.arn.dz/---page-224.htm.
18- Giovanni Pirelli & Rachel E. Love (2015) Biographical Note on Frantz Fanon, Interventions: International Journal of Postcolonial Studies, 17:3, 394-416, DOI: 10.1080/1369801X.2014.993680 .
Macey David, Frantz fanon A Biography, VERSO London, New York, 2012.
19- Malek Rédha, L'Algérie à Evian (histoire des négociations secrètes 1956-1962), éditions Dahlab, 1995.

20- Numa Murand, Psychiatrie et politique, Frantz fanon a Blida, in (pensé aujourd'hui avec Frantz fanon), actes du colloque fanon, CSPRP-université, paris 7, février 2008 édition on ligne disponible sur "http:// www.csprp.univ-paris-diderot.ffactes_fanon.html, consulté le 04/01/2009.

21- Stora Benjamin, la vie de Frantz fanon, et la guerre d'indépendance Algérienne, in (pensé aujourd'hui avec Frantz fanon), actes du colloque fanon, CSPRP-université, Paris 7, février 2008 édition on ligne disponible sur "http:// www.csprp.univ-paris-diderot.ffactes_fanon.html, consulté le 04/01/2009.

22- Vidal Dominique, "les (traitres) qui sauvèrent l'honneur de la France", le monde diplomatique, septembre 2000.

23- Young Robert J.-C, Ploux Marie, « Fanon et le recours à la lutte armée en Afrique », Les Temps Modernes, 2006/1-2 (n° 635-636), p. 71-96. DOI : 10.3917/ltm.635.0071. URL: https://www-cairn-info.sndl1.arn.dz/revue-les-temps-modernes-2006-1-page-71.htm.